الاصول التاريخية للكيانات السياسية في الشرق الأدنى الحديث
دولة الاق قوينلي (الخروف الابيض) في الاناضول و العراق
١٣٧٨-١٥٠٨ م
٧٨٠-٩١٤ هـ

أ.د علي شاكر علي
كلية التربية / جامعة كركوك

الملخص

ينشد البحث متابعة الاصول التاريخية لأحد الكيانات السياسية (دولة الاق قوينلي) التي حكمت في جنوب الاناضول و شمال غرب ايران والعراق لفترة ليست بقصيرة و حاولت خلال فترة حكمها للمناطق المذكورة في اعلاه تطبيق تنظيمات ادارية و مالية جديدة مستفيدة من تجاربها الذاتية فضلا عن الارث الحضاري للمنطقة فبعد صراع عنيف بين القوى السياسية انفرد ابرز حكام الاق قوينلي (حسن الطويل) بالسلطة فكتب دستورا للبلاد اصبح فيما بعد اساسا لمعظم القوانين العثمانية في القرن الخامس عشر للميلاد كما تناول البحث الصراع العنيف بين دولتي الخروف الابيض و الخروف الاسود و موقف المماليك حكام مصر و بلاد الشام منهم كما لم يغفل البحث دراسة مؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية في دولة الاق قوينلي و موقف القوى المحلية من ممارسات السياسية لدولة الاق قوينلي خلال الحقبة التي حكمت فيها البلاد

المقـدمة

ظهرت في الآونة الأخيرة دراسات تاريخية جادة ، كشفت عن بعض جوانب الابهام والغموض عن تاريخ الشرق الادنى الحديث خلال الحقبة التاريخية التالية لاحتلال المغول للعراق ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، غير أن الفترة الممتدة من ١٣٧٨-١٥٠٨م التي تشمل حكم القرة قوينلي والآق قوينلي وبقايا التيموريين والقوى العربية المحلية المتمثلة بالامارة الطائية على الحدود العراقية السورية والامارة المشعشعية في عربستان ، ما يزال يكتنفها الغموض وهي بحاجة الى دراسات موضوعية شاملة تأخذ بنظر الاعتبار طبيعة المرحلة التاريخية التي مرّت بها المنطقة بحدودها الجغرافية الحالية تقريباً ، ومفهوم السلطة وعلاقتها بالمجتمع لدى الكيانات السياسية التي تعاقبت على الحكم لا في العراق وحده وإنما في عموم الشرق الادنى فالاصول القبلية لهذه الكيانات ظلت تتحكم في سلوك حكامها ونظرتهم الى الشعوب التي دانت لهم .

ومن هنا تأتي اهمية دراسة هذه الفترة والقاء الضوء عليها وهذا ما يهدف اليه هذا البحث ، الذي ينشد تسليط الضوء على دولة الاق قوينلي وحكمها في العراق وجنوب شرق الاناضول وبخاصة مرحلة النشأة وعهد اشهر سلاطينها المدعو اوزون حسن (الطويل) (١٤٥٧- ١٤٧٨م) بوصفه مؤسس الدولة وواضع الاسس العامة التي سار عليها الحكام الذين جاءوا بعد وفاة اوزون حسن ، ولما كانت الفترة التالية لوفاة المؤسس الطويل ، قد درست من قبل احد

الباحثين ، دراسة موضوعية شاملة لذا لم نجد ضرورة للتركيز على احداث هذه الدولة بعد سنة ١٤٧٨ الا بقدر تعلق الامر بوحدة الموضوع .

ومعروف ان احداث هذا القرن (الخامس عشر الميلادي) اتسمت بعدم الاستقرار والفوضى وتدهور الأحوال الإقتصادية والإجتماعية والثقافية نتيجة لانهيار السلطة المحلية وتنافس القوى القبلية في المنطقة واقتتال بعضها مع البعض الاخر للاستحواذ على السلطة .

ويحاول البحث كذلك ، القاء الضوء على العلاقات السياسية بين الاق قوينلي والكيانات السياسية القائمة على تخومها ، والتي كانت تؤثر على مجرى الاحداث في الساحة العراقية وتحدد مساراتها ، مما ترك تأثيرات فاعلة في التطور التاريخي للمجتمع العراقي خلال الحقبة اللاحقة .

وقد اعتمدت الدراسة على مصادر اصيلة وبلغات مختلفة ، وغاية ما ارجوه ان اكون قد وفقت في القاء الضوء على نشأة هذه الدولة وفترة حكم اشهر سلاطينها (حسن الطويل) ، وأن تكون هذه الدراسة فاتحة لدراسات اخرى تشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والادارية والثقافية لتاريخ الشرق الادنى الحديث في العصور الوسطى الإسلامية والله ولي التوفيق .

١- امارة الاق قوينلي التركمانية في مرحلة النشوء :

نزحت قبيلة الاق قوينلي من ديارها الاولى في تركستان بأواسط آسيا الى ديار بكر العليا (ارمنيا الصغري) في الجهات الجنوبية الشرقية من آسيا الصغرى ، ويكتنف الغموض سبب نزوحهم ، فهناك من ربط هذا الامر بالضغط المغولي على القبائل التركمانية منها القره قوينلي (البارانية) ، والاق قوينلي (البايندرية) مما دفعهم الى الاستقرار في اطراف خراسان ثم الزحف باتجاه الغرب ، وكان ذلك في عهد السلطان المغولي ارغون (١٢٨٤-١٢٩٤م) [١] وكانت هذه الاقوام رحالة ، تبحث عن الماء والكلأ ، وتتنقل بين سهول (آلاداغ) اثناء فصل الصيف ،وفي ديار بكر وبالقرب من نهر الفرات في فصل الشتاء ، عندما ضعفت قبضة المغول على ايران والاناضول والعراق ، بدأت القبائل التركمانية تتحرر من تبعيتها للمغول ، بحيث استقرت الاق قوينلي في منطقة ديار بكر في حين اخذت القره قوينلي جهات ارزنجان وسيواس مستقراً لها [٢] . وهناك جملة ملاحظات حول تسمية " الاق قوينلي " منها ان المصادر التي أرخت للأصول الأولى للاق قوينلي ، لم تذكر هذه التسمية " الاق قوينلي " بل البايندرية او اولاد بايندرخان وهو الابن الرابع لاوغوز " الغز " البطل الاسطوري عند الاتراك [٣] ، وبعد استقرارهم في الاناضول وشمال العراق واذربيجان شاعت هذه التسمية أي في القرن الثالث عشر كما عرفت البارانية نسبة الى باران احد احفاد الاوغوز ، بالقرة قوينلي في نفس الفترة الزمانية وبتعبير آخر ، فان تسميتهم الجديدة ارتبطت بالصراع السياسي على مناطق النفوذ، ورغبة من زعماء القبليتين في ان يتمايزوا فيما بينهم اتخذوا شعار الخروف الاسود ، والخروف الابيض رمزاً لهم ، وقد وجدت على قطع النقوذ والوثائق والاضرحة ، شعار الدولتين [٤] .

ويفند المؤرخ التركي المعاصر فاروق سومر ، الرأي ، لقائل ، انَّ التسمية ترتبط بالطوطمية ، فإن اتحاد التوتم (الطوطم) بالحيوان ، الامر الذي يوجب عدم اكل لحمه[٥] ، في حين ان اعتماد السكان على لحم هذا الحيوان (الغنم

) كان رئيساً ويؤيد فاروق في الرأي استاذ Roemer قائلاً ان هذا الرأي يجب رفضه على اساس أنه غير عملي ، ومعتقداً بأن اصل الدولتين (البارانية) القرة قوينلي ، والباينديرية " الاق قوينلي " هو ، قبيلة واحدة او اتحاد قبائل ، انفصلت عن بعضها فيما بعد ، لبيحث كل منها عن فرصة الصعود كقبيلة مستقلة بعد ان حققتا النجاح [٦] ، ويفهم من سياق العرض التاريخي لدراسة Roemer ان الوجود التركماني " القبائل والعشائر " المتنفذة كان عاملاً هاماً في ملء الفراغ السياسي في سنة القرن الثامن الهجري بعد انهيار الاسرة الاناضولية السلجوقية وافلاسها السياسي ، وعندما ضعف الوجود المغولي ، نجحت القبيلتان في ملء الفراغ السياسي في المنطقة الممتدة بين شرق الاناضول وشمال ما بين النهرين (العراق) وشمال غرب بلاد فارس[٧] ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين القبيلتين ، وهو صراع يقترب من أنموذج الصراع الذي كان قائماً بين قبيلتي Wilf , Waibinger الالمانيتين حسب تشبيه احد المؤرخين الالمان [٨] .

وفي الموطن الجديد للقبيلة ، لمع اسم علاء الدين طور علي بيك [٩] كقائد لقبيلة الاق قوينلي ، اثناء الغارات التي شنها على حدود الموصل طبقاً للعرف البدوي الذي يبيح اعمال الغزو والنهب كما امتدت غارات طور علي بيك على حدود امارة طرابزون الرومية ثم خلفه في قيادة القبيلة ابنه فخر الدين قطل وا (قتلخ) وقد ارتبط هذا بعلاقات عائليه مع امارة طرابزون عندما تزوج من ماريا دسيينا ابنة الامبراطور الكسيوس الثالث اعتقاداً من الاخير ان هذا الزواج يمنع غارات الاق قوينلي على حدود دولته [١٠] .

بدأت امارة الاق قوينلي في حوالي مطلع الخامس عشر تأخذ شكل كيان محلي ، جنباً الى جنب مع الامارات المتناثرة في الشرق الادنى ، ويعود الفضل في ذلك الى قره عثمان الذي تولى رئاسة الامارة بعد وفاة ابيه فخر الدين قطلو بيك بن طور علي بيك ، حيث تشير المصادر اليه بوصفه مؤسس امارة الاق قوينلي جاعلة له كنية قرة يلوك [١١] ، والتي تعني العلق الاسود ، تعريفاً بشراسته واستباحته للدماء وحبه للغزوات ، ويتردد في بعض المصادر أنه استهل حياته بنزاع عنيف مع اخويه احمد بيك وبير علي ، الامر الذي دفع اخوته الى سجنه فترة من الزمن حتى اضطر امراء آق قوينلي الى اطلاق سراحه بسبب ضغوط قبيلة قر قوينلي بقيادة قره يوسف بن قرة محمد التركماني على مركز الاق قويلنو في نهاية القرن الربع عشر الميلادي (١٣٩٥م) [١٢] ، وبطبيعة الحال ان قره عثمان الذي استرجع حريته في ظروف هجوم القرة قوينلي لم يخيب ظنون طاليقه ، والى ذلك يشير المؤرخ العثماني منجم باشي " إن قره عثمان استبسل في الدفاع عن ديار بكر واجبر غريمة قره يوسف على الانسحاب يجر اذيال الخيبة والخسران " [١٣] ، على ان قره عثمان لم يكن ذلك الرجل الذي يلدغ من جحر مرتين ، فقد ترك ديار بكر فور انتهاء معمتها ، وذلك ليقطع السبيل على اخيه احمد بيك وهكذا كانت وجهته نحو سيواس ، عارضاً خدماته على حاكمها برهان الدين القاضي الذي كان بأمس الحاجة اليها بسبب الغارات المستمرة التي كان يشنها مؤيد الدين القاضي حاكم قيسارية عليه [١٤] .

سار قره عثمان على رأس قوة من اتباعه الشجعان ، تساندهم قوة من جيش برهان الدين القاضي نحو قيسارية ، واشتبك مع عساكر مؤيد القاضي فانزل بالاخير هزيمة ساحقة ، واضطر مؤيد الدين الى الاستسلام ثم " الدخالة " عند قره عثمان من اجل انقاذه من بطش برهان الدين فكان له ما اراد غير أن برهان الدين تجاهل قائده وصانع نصره في قيسارية ، وعمد الى قتل غريمه مؤ الدين بطريقة بعثت الاشمئزاز والغضب في نفس قره عثمان ، فكان ذلك آخر عهد قره عثمان بحليفه حاكم سيواس [١٥] .

استبد الطموح برأس قره عثمان ، كما ركبه الغرور وبخاصة أن معارك ديار بكر وقيصارية حولته الى رجل اسطوري عند اتباعه وهم عبارة عن (٦٠٠) فارس فاتخذ لنفسه مركزاً مستقلاً في قلعة ديوركيا [١٦] ، وصار يشن منها الغارات كما كان يجوب البلاد (الاناضول) طولاً وعرضاً وعلى وجه الخصوص ان ظهور تيمور لنك [١٧] ، وفي هذه الفترة بالذات قد ساعده على ان يلعب دوراً ملحوظاً في تطور الاحداث ، فقد اعلن قره عثمان تبعيته لتيمور لنك ، فكافأه الاخير بمنحه حكم الموصل وسنجار واربيل ، كما أقر وضعه كأمير على ماردين وأمد (دياربكر) [١٨] .

وقد بقيت هذه المناطق تحت نفوذه بعد وفاة تيمور لنك سنة ١٤٠٥م ، اذ استغل قره عثمان وضعه الجديد فطرق بعساكره ابواب مدينة الرها ثم احتلها سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م وعيّن ابنه هابيل حاكماً عليها [١٩] .

وقد انتهت حياة هذا البطل الاسطوري قره عثمان الحافلة بالمعارك الطاحنة ، عندما خرّ صريعاً في سنة٨٣٦هـ / ١٤٣٢م اثناء قتاله جنباً الى جنب مع شاه رخ بن تيمور لنك ، الذي آلت اليه ضد اسكندر بيك بن قره يوسف التركماني حاكم تبريز القرة قوينلي ، ودفن في ساحة المعركة [٢٠] . وعلى الرغم من ان المصادر لا تذكر تفصيلات مهمة عن نتيجة المعركة ألا أن الامر الواضح ، أن المعركة حسمت لصالح القرة قوينلي بدليل ان اسكندر بن قره يوسف نبش قبر قره عثمان الذي دوخ البلاد من قبل ، فأمر بحز رأسه ورأسي ولديه ورؤوس ثلاثة امراء آخرين ثم ارسلها جميعاً الى السلطان الملك الاشرف برسباي (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م – ٨٤٢هـ /١٤٣٨م) [٢١] ، ليشفى غلة في صدر السلطان المملوكي تركتها اثار احتلال قره عثمان لمدينة الرها ولتعزيز التحالف بينهما .

انتهت امور الاق قوينلي بعد مصرع قره عثمان الى احتدام الصراع بين اولاده علي بيك وحمزة بيك وجهانكير [٢٢] ، تدخلت خلالها القوى السياسية المحلية وخاصة الدولة المملوكية لترجيح كفة بعضهم على بعض الاخر ، مما سيرد ذكره مفصلاً في عند متابعتنا للعلاقات الاق قوينلية – المملوكية وقد اشارت المصادر الى ان الحكم آل الى ابن قره عثمان المدعو جلال الدين علي ، وكانت ولايته قصيرة ، اذ اضطر الى تركها لاخيه حمزة ، ثم بعد وفاة حمزة تولى الحكم جهانكير ، والذي دخل في صراع مرير مع اوزون حسن " الطويل " وفي غمرة هذا الصراع ، بزغ نجم الطويل ، حسن بيك [٢٣]أ ، بن جلال الدين علي بيك ابن قره عثمان يولك ، والذي شهدت الامارة في عهده تحولها الى كيان سياسي عملاق في المنطقة .

٢– السلطان اوزون حسن بيك وتعاظم قوة الاق قوينلي: صراع من اجل كيان سياسي .

كان الامير اوزون حسن بيك ، قد استغل اضطراب احوال الاق قوينلي بعد وفاة قره عثمان ، فاستقل في الجهات الشمالية من امارة الاق قوينلي ، وبالنظر للمخاطر الخارجية التي احاطت بالامارة ولاسيما من قبل قرة قوينلي ، فقد اضطر الامير جهانكير بن علي بيك الذي آلت اليه امور الاق قوينلي ، بعد أن دَحَر اخوته المنافسين له على عرش الامارة الى الاعتراف بالمركز الجديد لشقيقه حسن بيك [٢٣]ب وفي محاولة من جهانكير للتخلص من تطويق عساكر حسن بيك له استنجد بجها نشاه سلطان القرة قوينلي والطريف في الامر ان جهانكير الذي استنجد بغريم اخيه حسن بيك ، انحاز الى جانب شقيقه اثناء المعركة التي احتدمت بين الفريقين في ٨٦١هـ / ١٤٥٧م ، بل ان الغياثي وهو اقرب المؤرخين عهداً باحداث هذه الحقبة التاريخية المضطربة يقول ان جهانكير قنع بمركز الامارة في ماردين ووافق على أن تكون الاجزاء الاخرى من الامارة جميعاً تحت حكم حسن بيك الطويل كما امره على قيادة العساكر الاق

قوينلييية ، ومن هنا يبدو ان حسن بيـك الطويل لـم يبق للاميـر الاق قوينلي جهانكير غير سلطة رمزيـة ،وذلك توطئـه لنيل شرعية الحكم لمصلحته في وقت لاحق [٢٤] .

وهكذا اصبحت كل من ديار بكر والجزيرة والرها ومناطق اخرى كثيرة تحت سلطة الطويل ، ويسـهب منـجم باشـي في وصف الاحداث التي ادت الى تظاهر قوة حسن الطويل فيقول : أنـه عندما شعر جهانكير بخطر شقيقه حسن الطويل عمد الـى تغير سياسته تجاه خصومه القرة قوينلي ، ودخل معهم فـي علاقات مصاهرة سياسية حين زوج ابنتـه من محمدي ميرزا بن جهانشاه القرة قوينليي [٢٥] ، وقد اثار هذا التطور الجديد حسن الطويل الذي قرر عدّ كل المنطقة التي يمتد فيها نفوذ القرة قوينلي وكذلك المنطقة التي يمتد فيها نفوذ اخيـه جهانكير ساحةً لمغامراتـه العسكرية وهجماتـه المتلاحقة واضـعاً نصب عينيه الاستفادة من العناصر المناوئـة لجهانشاه من امثال قيليج ارسلان بن بير علـي حاكم ارزنجان وترجان ، وقد تمكن خلال نشاطه الحربي من احتلال قلعة كمـاخ ثم ماردين التي دخلها متنكراً مع ثلة من جنده ، وأعمـل السيف فـي رقـاب حـرس ابوابهـا فاتحـاً الطريـق فـي النهايـة لعسـاكره المختبئـين خـارج اسوارها ، والمتحفزين لاقتحامها عند اول اشارة اتفق عليـها كان ذلك في سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م [٢٦] .

والطريف أن الاميرة سارة خاتون والدة حسن الطويل ، لعبت دوراً ايجابياً للتخفيف من العداء والصراع المتحكم بين الشقيقين الطويل وجهانكير اميرا الاق قوينلي ، فقد افلحت جهودها فـي اخراج حسن الطويل من مـاردين لمصلحة ولدها جهانكير غير ان جهانكير سرعان مـا تنكر لموقف اخيـه الطويل الايجابي حين استغل حادثـة سقوط اخيـه حسن الطويل من جواده وكسر احدى ساقيه اثنـاء الهجوم علـى ارزن الـروم وأونيك وبـايرت ، فعاد يشن الغارات علـى امـلاك اخيه ضارباً عرض الحائط نصائح أمه [٢٧] ، وهكذا كان اجراء حسن الطويل الوقائي اذ انه شن هجوماً واسعاً في جهات تراجان واضعاً السيف في عنق حاكمها عربشاه احد قواد جهانكير ، كمـا هاجم خراسان وتحديداً منطقـة تبـه طـاغ فـي جنوب غرب ديار بكر ، فكان ما كان من استنجاد جهانكير بجها نشاه القرة قوينلي ٨٦١هـ / ١٤٥٧م ثم حصار حسن الطويل لها وأخيراً انحياز جهانكير وتصالحه مع شقيقه حسن بيك سنة ١٤٥٧م / ٨٦١هـ [٢٨] .

وثمة تعديلات طفيفة على رواية الغياثي تتعلق بالنتائج التي تمخضت عنها الحادثة الاخيرة اوردها منجم باشـي فـي كتابـه صحـائف الاخبـار اذ انـه قـال : أن حسن الطويل قبض علـى جهـانكير واخذه اسيراً واجبره علـى التنـازل عن ماردين وقد اعقب ذلك استسلام اويس بيك القرة قوينلي حاكم الرها ، واعلن منذئذ اعترافه بسلطة حسن بيك الطويل [٢٩] ورواية منجم باشي هذه تتوافق مع ما ذهب اليه الغياثي من ان جهانكير استقر في ماردين بمعية اولاده وعياله ونـواكيره (جنوده) حتى وفاته سنة ٨٧٤هـ / ١٤٧١م بما يمكن أن نسمية اقامة جبرية (اجبارية) [٣٠] .

٣- الصراع بين اوزون حسن وجهانشاه القرة قوينليي

إن تصاعد نجم اوزون حسن [٣١] ، واتساع دائرة نفوذه ، أدى فـي النـهاية الـى وضعه وجهاً لوجـه مـع دولـة القرة قوينلي التي كانت ما تزال تحت حكم جهانشاه وفي قاعدتها تبريز .

والحقيقة أن جها نشاه الذي كانت تعتصره ذكـريات الام الاحداث ومنها على وجه الخصوص هزيمـة عساكره التي وقـعت في شرك جهانكير سنـة ٨٦١هـ / ١٤٥٧م كان بحاجة الى نصر يثبت بـه مركزه ويعيد الثقة لعساكره وحلفائه المماليك في الشام ومصر .

إن هذا النصر ينبغي أن يكون على اوزون حسن بالذات وليس على غيره ، فهو المتحكم في الجبال والمتحالف مع اعدائه التيموريين ، المتطلع بهم الى مناطق نفوذ القرة قوينلي في شمال العراق حتى تخوم الموصل والشام وهكذا خرج جهانشاه سنة ٨٧١هـ / ١٤٦٧م من تبريز (العاصمة) الى منطقة موش [٣٢] المتداخلة مع مناطق نفوذ الاق قوينلي يحدوه الامل في اخذ اوزون حسن على حين غرة ، ولكن جها نشاه الذي خرج ليصطاد اوزون حسن وقع في شرك الاخير [٣٣] ، ويذكر الغياثي أن جها نشاه وعساكره كانوا قد ظلوا الطريق بتقصير من دليل جاهل حتى ان جها نشاه عنف الدليل قائلاً " سلكت بنا طريقاً رديا " [٣٤] ومهما يكن من امر فقد اضطر جهانشاه الى قضاء فترة طويلة من شتاء سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م في تلك المناطق التي شهدت ثلوجاً وامطاراً غزيرة ، وبات جهانشاه – كما يبدو عاجزاً من تلبية مؤن وتجهيزات حملته ، فما كان من العسكر الا ان تفرقوا بين الوديان [٣٥] فوفر ذلك فرصة طيبة لحسن الطويل [٣٦] اذ انقض على غريمه واحاطت عساكره بجها نشاه واولاده وحاشيته ومن بقي من اتباعه والطريف انه في الوقت الذي داهم فيه عسكر اوزون حسن ، معسكر جهانشاه كان الاخير يغط في نوم عميق بتأثير ماتناوله من مخدرات " افيون " [٣٧] الى ذلك يشير المؤرخ الغياثي المعاصر والقريب من مراكز الاحداث متندراً :

يا نائم الليل مسروراً بأوله إن الحوادث يطرقن اسحارا
لا تأمنن بليل طاب اوله فرب آخر ليل أَجج النارا [٣٨]

انكسر جيش جهانشاه وهرع بعض أولاده لأبيهم فأيقظوه وهنا تذهب المصادر الى روايات عدّة بل ومتضاربة ، حول موقف جها نشاه ومصيره ، فصاحب ديار بكريه يجعل مقتله في ساحة المعركة [٣٩] ، بينما المصادر الاخرى تشير الى امتطائه صهوة فرسه ومحاولته الفرار الى تبريز ، غير ان محاولته هذه باءت بالفشل اذ قتله احد الجنود طمعاً في فرسه وملابسه من دون ان يعلم أن ضحيته هو جهانشاه سلطان القرة قيونلو المهزوم [٤٠] ، وأخيراً وقع القاتل بيد جند حسن الطويل ، وكانوا قد ملأوا الشعاب وانتشروا بحثاً عن جها نشاه ، فدلهم على رأس القتيل وجثته فتحقق عندهم ان من يبحثون عنه قد ذاق طعم الردى [٤١] ، فاحتفى حسن الطويل بنصره هذا ، وعمد الى ارسال رأس جهانشاه الى السلطان المملوكي [٤٢] ، ليؤكد له على ما يبدو أنه ليس للمماليك غير خيار التعامل معه كسيد على البلاد الواقعة بين اذربيجان شرقاً وأسيا الصغرى غرباً .

٤- استيلاء حسن الطويل على بغداد

كان نائب جهانشاه حاكم القرة قوينلي في حكومة بغداد سنة ٨٧٢هـ التواجي بير محمد الياوت ، ويبدو انّ هذا قد سئم من تدهور الاوضاع السياسية في البلاد ، اثناء احتدام الصراع بين جها نشاه وحسن الطويل ، فعرض على ابي

سعيد حاكم خراسان ان يتسلم المدينة وقد تهيأ الاخير كما يذكر خواندمير [٤٣] ، للزحف الى بغداد ، غير أن تطور الاحداث بسرعة في تبريز والسلطانية ، والتي تمثلت في مصرع جها نشاه على يد اوزون حسن على الرغم من محاولة جها نشاه قبل مصرعه تشكيل جبهة عسكرية لمقاومة الاق قوينلي ، جعل حاكم خراسان يعدل عن الزحف الى بغداد وينضم الى جبهة حسن الطويل املاً في توسيع رقعة امارته [٤٤] .

أما اوزون حسن ، الذي ظن ان ضربة معركة موش ، قد شتت القرة قوينليين بعد مصرع رئيسهم ، فقد زحف الى بغداد التي استعادت ذكريات الجيوش الغازية وهي تطوقها وتقطع الارزاق عنها ، غير ان حصار الطويل لبغداد لم يطل بعد أن وردت اخبار تحركات حسن علي بن جهانشاه في اذربيجان ، فأضطر الطويل الى رفع الحصار عن بغداد والعودة على جناح السرعة الى ديار بكر [٤٥] ، وبعد قضائه على حركة حسن علي والامراء المؤيدين له من التيموريين والجغتايئين ، سقطت بغداد او بالاحرى دخلت بغداد ضمن دائرة نفوذ الطويل الاق قوينليي ، فأقطع بغداد واطرافها لولده ميرزا مقصود وجعل معه من الامراء ، ممن حنكتهم معارك موش وقبلها ، وفي مقدمة هؤلاء خليل اغا الملقب بكور خليل ، وقور قماز بيك (ومعناه الجريء) وكان ذلك في سنة ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م وهي سنة ابتداء حكم الاق قوينلي في العراق [٤٦] .

لقد امتدت حدود دولة الاق قوينلي من ارمينيا الصغرى الى حدود الشام كما شملت العراق واذربيجان وفارس الى حدود خراسان [٤٧] ، زيادة على مناطق اخرى دانت لها او اعلنت تبعيتها املاً في نيل مساعدتها لدفع الاخطار المحدقة بها على ما يظهر

٥- العلاقات بين دولتي الاق قويلني والمماليك حكام مصر و بلادالشام

كان نشاط الاق قوينلي العسكري في ديار بكر واطرافها ، يشكل مصدر خطر حقيقي وعامل قلق للسلطات المملوكية في مصر وبلاد الشام ، ويؤيد ذلك المؤرخون المصريون والشاميون المعاصرون لتلك الحقبة ،الذين كانوا يتتبعون اخبار دولة الاق قوينلي في ديار بكر وبلاد فارس والعراق ، فجاءت اخبارهم لتؤكد ذلك القلق . وهناك جملة من العوامل تجعل الدولة المملوكية تأخذ موقف الحذر والترقب ازاء احداث هذه المنطقة منها الحدود المشتركة مع دولة الاق قوينلي الذي جهل مدنها الحدودية هدفاً لغارات الاق قوينلي ، وما يصاحب ذلك من نهب وسلب واضطراب هذا من ناحية كما أن قيام دولة قوية في العراق وفارس والاناضول ، يهدد من ناحية اخرى مصالحها التجارية ومصالح حلفائها من البنادقة والقبارصة الذين كانت مخاوفهم من دولة الاق قوينلي لا تقل عن مخاوف المماليك بطبيعة الحال [٤٨] .

ومهما يكن من أمر ، فقد بدت العلاقات الاق قوينلييية والمملوكية على ما اسوأ ما تكون ، عندما اجتاحت جموع قره عثمان الاق قوينلي عام ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م حدود الدولة المملوكية ونهبت قلعة " خرتبرت " ثم احتلت مدينة الرها التي اسند حكمها الى هابيل بن قره عثمان [٤٩] .

كان رد الفعل المملوكي تجريد حملة عسكرية لا ستررداد المدينة ، وتكاد المصادر التاريخية تتفق على الاشارة الى كثرة القتلى من عساكر الاق قوينلي [٥٠] اثناء حصار المماليك لمدينة الرها حتى ان المدينة امتلأت بجثث قتلاهم ، كما تجرع السكان المأسي والويلات اثناء حصار المدينة وبعد اقتحامها ، وهنا يذكر مؤرخ شامي مجهول ، ان فضائح ارتكبت تشمئز منها النفوس وتقشعر لهولها الابدان ووصف الحالة متهكماً :

وكنا نستطيب اذا مرضنا

فجاء الداء من قبل الطبيب [٥١]

وعلى أية حال فقد نجح المماليك في استرداد المدينـة وأسر حاكمها الاق قوينلي هابيل بن قره عثمان ، غير أن مأساة الرها لم تنته ، فقد عاود قره عثمان حصارها ثانية ، عام ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م عندما رفضت السلطات المملوكية اطلاق سراح ابنه هابيل .

حقاً كان الحصار قاسياً ،وضحاياه كثر حتى ان المصادر تشير الى ان السلطان المملولكي برسباى عزم على الخروج بنفسه لمحاربة الاق قوينلي عندما تناهت اليه اخبار القتلى في جـــــيش نائبه اينـال العلائـي حاكم الرها [٥٢] .

وفي الجانب المقابل حيث استعد الاق قوينلي لمنازلة خصوصهم المماليك عمد قره عثمان الى ارسال هدية الى غريمة السلطان المملولكي ، اشتملت على تسعة اكاديش ودراهم قليلة مضروبة باسم السلطان المملوكي امعاناً منه – كما يبدو – في اثارة السلطان المملوكي واستصغاراً لشأنه وطعناً في نسبه وهكذا رفض السلطان المملوكي استقبال الوفد كما يشير الى ذلك ابن تعزي بردي [٥٣] .

اضطر قره عثمان الى رفع الحصار عن المدينة بسبب ظهور خطر اسكندر القرة قوينلي حاكم تبريز وهجومه على ممتلكات الاق قوينلي ، كما مرّ بنا سابقاً فقد خرّ قره عثمان صريعاً في القتال ، وبادر اسكندر الى ارسال رأسه الى القاهرة التي تنفست الصعداء ، وعلقت رأس قره عثمان في باب الزويلة لمدة ثلاثة ايام [٥٤] تعبيراً عن فرحها وابتهاجها بهذا الحدث السعيد .

بدأت السلطات المملوكية بعد مقتل قره عثمان واحتدام الصراع بين ابنائه على السلطة تساهم في توجيه مسار لاحداث في الدولة الاق قوينلية ، فاثناء القتال بين الاخوين حمزة بيك وعلي بيك على مناطق النفوذ ، كانت المساعدة المملوكية المتمثلة بخمسين ألف فارس سبباً في رجحان علي بيك على اخيه حمزة بيك [٥٥] .

يبدو أن الدولـة المملوكيـة بدأت تميل نحو الحياد تجاه الصراع العائلي الذي احتدم بين الاخوين جهانكير واوزون حسن ، لبعد ساحة الصراع عن الدولة المملوكية ولكونه عاملاً في اضعاف هذه الدولة وانحلالها .

٦- الصراع بين الاق قوينلي والقرة قوينلي وموقف المماليك منه

عندما تفجر الصراع بين الاق قوينلي والقرة قوينلي سنة ٨٦٢هـ / ١٤٥٧م . سعى عاهلا (حاكما) الدولتين الى كسب ود المماليك من خلال الوفود التي كانت ترسل الى القاهرة ، غير أن ردود الفعل المملوكية لم تكن تتعدى مراسيم الحفاوة والاستقبال وتبادل الهدايا ، ففي سنة ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م ارسل اوزون حسن (الطويل) وفداً الى السلطان المملوكي الملك الاشرف ابو النصر اينال (٨٥٧-٨٦٥هـ / ١٤٥٢ – ١٤٦٠م) يحمل مفاتيح القلاع التي استولى عليها في بلاد الكرج كما نقل الوفد الاق قوينلي الى السلطان المصري رغبة الطويل في عدّ نفسه نائباً عن السلطان المملولكي في تلك البلاد ، وان كل ما يستولي عليه من البلاد ، انما هو توسيع لرقعة دولة المماليك [٥٦] .

ولم يقف اوزون حسن عند حدٍّ اعلان الولاء للمماليك ، بل صار يحيط المماليك باخبار الخارجين عليهم ، ففي سنة ٨٦٥هـ / ١٤٦٠م ارسل وفداً الى السلطان المملوكي المؤيد ابي الفتح احمد(١٤٦٠-١٤٦١) ليخبره بأن اوزون حسن زار مدينة الرها واحاط حاكمها المملوكي علماً بنوايا شقيقه جهانكير لمهاجمة المدينة [٥٧] .

وفي عام ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م ارسل اوزون حسن سفارة الى القاهرة ليخبر المماليك عن عزمه في اعلان الخطبة للسلطان المملولكي من على منابر ديار بكر وضرب السكة باسمه،وقد قوبلت السفارة بالحفاوة والتكريم [٥٨] . وفي السنة التالية بعث اوزون حسن بسفارة ذات مستوى رفيع ترأسها والدته سارة خاتون [٥٩] .

يبدو ان مهمة السفارة كانت تتعلق بطلب المساعدة المملوكية ضد دولة القرة قوينلي التي لم يدّخر حكامها وسعاً في سعي الى كسب ود المماليك وطلب مساعدتهم [٦٠] .

وعقب انتصار اوزون حسن على غريمه جهانشاه القرة قوينلي عام ٨٧٢هـ / ١٤٦٨م بعث بسفارة الى السلطان ظاهر خشقدم حملت رأس جهانشاه وهدية اشتملت على خمسة بغال بيض ومملولكين احدهما من الجراكسة وآخر من الزورية [٦١] .

ومما يلاحظ هنا ، ان المصادر المملوكية لا تشير الى المسألة التي دأب اوزون حسن على تأكيدها في سفارته السابقة وهي أنه نائب المماليك في بلاده ، مما يؤيد ما ذهب اليه البحث في موضع سابق ، وهو ان السفارة كانت اشعاراً بان اوزون حسن اصبح سيداً للمنطقة الممتدة بين اذربيجان شرقاً وآسيا الصغرى غرباً وليس للمماليك من خيار غير التعامل معه على هذا الاساس ،ولعل ابرز ما يؤيد هذا الاستنتاج ما يذكره المرحوم عباس العزاوي استناداً الى مصدر معاصر للاحداث جاء فيه : ان حسن الطويل بعد ان قضى على ابي سعيد حاكم خراسان التيموري سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م ارسل سفارة الى السلطان المملوكي الملك الاشرف ابو النصر (٨٧٣-٩٠١هـ / ١٤٦٩-١٤٦٧م) تحمل رأس غريمه ابي سعيد وكتاباً سلك فيه طريقة الملوك وابراق فيه وكان قبله يتلطف [٦٢] .

واستناداً الى ما ذكر ، فقد اوعز اوزون حسن لاميري الحج العراقي رستم بك والقاضي احمد بن وجيه ، ان يجعلا الخطبة في مكة باسمه في عام ٨٧٧هـ / ١٤٧١م ، وقد نجح اميرا الحج المذكوران في جعل الخطبة باسم الملك العادل حسن الطويل ، غير أن امير مكة محمد بن الشريف بركات قبض على رستم وصاحبه وارسلهما الى السلطان اشرف قايتباي (١٤٦٨-١٤٧٦م) الذي امر باطلاق سراحهما بعد بضعة اشهر ارضاءً لاوزون حسن [٦٣أ] .

ونترك الكلام للمؤرخ ابن اجا المتوفى ٨٨١هـ ، والمعاصر للاحداث يصف ما حصل بقوله : وفي الشهر المحرم سنة ٨٧٨هـ وصل الحاج وصحبتهم ابن اميرمكة والقاضي برهان الدين بن ظهيرة الشافعي وولده ابو السعود وأخوه ، وأحضروا صحبتهم رستم امير الحاج العراقي والقاضي ، اللذين بعث بهما حسن الطويل وصحبتها كسوة الكعبة المشرفة ، وامر اهل المدينة والكعبة بأن يخطبوا فيها باسم العادل حسن الطويل ، فسجن السلطان رستم والقاضي في البرج الذي بالقلعة ، وفي ربيع الاول ، اطلق السلطان رستم أمير الحاج العراقي ،واطلق القاضي الذي في صحبته ، وخلع عليهما ترضيتاً لخاطر حسن الطويل [٦٣ب] .

وعلى الرغم من توتر العلاقات بين الدولتين ، غير أن هذا التوتر لم يصل الى حد اعلان الحرب بحكم التقاء المصالح السياسية للدولتين والتي كانت تهدف الى مواجهة الدولة العثمانية التي تطورت قوتها خلال القرن الخامس عشر الميلادي .

كانت وفاة حسن الطويل عام ٧٨٢هـ / ١٤٧٨ م بداية لمرحلة من الفوضى والاضطراب في دولة الاق قوينلي ، فوجدت الدولة المملوكية أن الفرصة مؤاتية لمد نفوذها على المدن الواقعة على تخوم دولة الاق قوينلي ، وكانت الحسابات المملوكية مبنية – على ما يبدو – على اساس ضعف الماكنة العسكرية الاق قوينلية ، بعد التطاحن العائلي الذي اعقب وفاة حسن الطويل ، غير أن الاحداث اثبتت ، أن هذا التصور كان مجرد وهم ففي عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م ، عزم الامير يشبك بن مهدي المملوكي – الزحف نحو العراق لضمه الى دائرة النفوذ المملوكي ، بعد ان ترددت الاخبار عن سوء اوضاعه [٦٤] .

ازاء هذه التطورات ، فقد اتخذ السلطان يعقوب بن اوزون حسن (١٤٧٨- ١٤٩٠م) اجراءات سريعة للحيلولة دون قيام المماليك بالهجوم على العراق ، وارسلت على الفور حملة كبيرة ضمت قادة عسكريين امتازوا بالحنكة والكفاءة في امور الحرب ، وكان على رأسهم بايندر بيك ، في حين عينت السلطات المملوكية قائداً جديدا لعساكرها ألتقى الجيشان المملولكي والاق قوينلي عند مشارف مدينة الرها ، ودارت معركة ضارية ، كانت هزيمة مروعة للجيش المملولكي ، وصفها ابن اياس بقوله :

" كانت مصيبة عظيمة مهولة قل أن يقع مثلها لعسكر مصر ... بحيث ان حوافر الخيل كانت لا تطأ الا على جثث القتلى من العسكر " [٦٥] ، لقد وقع قادة الجيش المملوكي في الاسر منهم الامير المملوكي قائد الحملة وقانصوه اليحياوي ونائب الشام وازدمر نائب حلب وجانم الجداوى ، وقتل ما لا يحصى من الامراء والعساكر ، وقد اوغل بايندر بك في حقده تجاه المماليك فأمره بقطع رؤوس القادة المماليك فحملت على الرماح الى تبريز (العاصمة الثانية بعد ديار بكر) ويقال " بان موكب الرؤوس المحمولة على الرماح كان يتوقف في المدن الواقعة على الطريق بين الرها وتبريز ويطاف بالرؤوس تباهياً بالانتصار الكبير على الجيش المملوكي .

وكان من المتوقع ان يكون رد فعل المملوكي عنيفاً تجاه هزيمة الرها غير أن شيئاً من هذا لم يحصل ، بل ان المماليك استقبلوا بالحفاوة والتكريم الوفد الاق قوينلي الذي ارسله السلطان يعقوب للاعتذار من المماليك تجاه ما حصل وليخبرهم أنه اطلق سراح الاسرى وعاقب المسؤول الاق قوينلي عن المذبحة ، " فلما سمع السلطان بهذا الامر سرّ به جداً " [٦٦] .

ويبدو أن سبب ترحيب المماليك بوفد الاق قوينلي ، يرجع الى احساسهم بتعاظم خطر العثمانيين المحدق للطرفين الذين تطورت قوتهم خلال هذه الفترة وبدأوا يتطلعون الى السيطرة على الشرق الادنى باكمله [٦٧] ، كما أن السلطان يعقوب لم يعمد الى الذهاب اكثر من هذا لخوفه هو الاخر من النشاط العثماني المتزايد في شمال بلاده .

٧- العلاقات بين الاق قوينلي والعثمانيين

كانت شبكة العلاقات التي نسج خيوطها اوزون حسن مع الامارات المجاورة لدائرة نفوذه او المعادية للدولة العثمانية سبباً في توتر العلاقات بين الاق قوينلي والعثمانيين ، كما ان امتداد حدود الاق قوينلي الى تخوم الدولة العثمانية في الغرب كان عاملاً آخر في توتر العلاقات .

لقد ارتبط اوزون حسن مع امارة طرابزون المسيحية بعلاقات مصاهرة وتحالف ، ففي عام ١٤٥٨م / ٨٦٢هـ تزوج اوزون حسن من ابنة شقيق داود آل كومنيس آخر اباطرة طرابزون – المسماة كاترين – وهي المعروفة في اوربا

بلقبها ديسبينا [٦٨] ، ومن جانب آخر ، كانت مصلحة امارة قرمانيا ان تكون سماء علاقاتها مع الاق قوينلي صافية بحكم تخوفها من الدولة العثمانية [٦٩] .

أما البنادقة الذين تضررت مصالحهم الاقتصادية كثيراً بعد الفتح العثماني للقسطنطينية سنة ١٤٥٣م ، واحتمال امتداد نفوذهم الى البحر المتوسط ، شريان التجارة البندقية والذين اثارتهم الامتيازات التي منحها العثمانيون للمدن الايطالية الاخرى مثل فلورنسا وجنوة في الموانئ والجمارك العثمانية حيث اصبح التعامل العثماني مع هذه المدن يقوم اساساً على فرض السيطرة على مواصلات وتجارة البندقية باعتبارها السبيل الوحيد لمنع نفوذ البندقية التجاري ، والحيلولة دون استفادة البندقية من تحالفها مع دولة الاق قوينلي [٧٠] لاسّيما وان كثرة البحوث (السفارات) بين تبريز (عاصمة الاق قونيلو) والبندقية التي شكلت عامل قلق حقيقي للسلطات العثمانية التي كانت تراقب هذه المسألة بجدية [٧١] .

والمسألة المثيرة للاهتمام ، أنَّ حسن الطويل ، عمد بعد انتصاره على المنافسين لحكمه من امراء الاق قوينلي ، الى تصعيد الموقف من آل عثمان ، فبعد سنة من زواجه من الاميرة الحسناء كاترين ، بعث برسالة الى العثمانيين (أي سنة ١٤٥٩م) طلب فيها محمد الثاني (الفاتح) (١٤٥١-١٤٨١م) بإعفاء طرابزون من الجزية السنوية التي تدفعها للعثمانيين كذلك طالب بدفع الجزية السنوية له ، والتي كان العثمانيون يدفعونها لتيمورلنك وابنائه والتي لم يدفعها العثمانيون لاكثر من خمسين سنة مضت ،معتبراً نفسه وريث تيمورلنك- وهكذا تحول اوزون حسن الذي كان يحكم حينئذ شرق الأناضول وأجزاء من إيران إلى عدو مرعب كتيمورلنك للعثمانيين ، يقول احد المؤرخين الاتراك : ان الطويل كان يتصور أنه سيتمكن من اخضاع فاتح ، كما تمكن تيمور من اخضاع يلدرم لكن الحال كان مختلفاً اوزون حسن لم يكن تيمور ، كما ان فاتح لم يكن يلدرم [٧٢] .

إن رسالة الطويل الى الفاتح ، جاءت في اعقاب تحقيقه انتصارات في جهات قلعة قوينلي حصار شمالي قيصرية على نهر كلكيت صو ، ونهبه اطراف توقات وأماسيه ، مستغلاً انشغال محمد الفاتح بحروبه مع بقايا التيموريين [٧٣] .

كان رد الفاتح على رسالة الطويل كما يشير الى ذلك فريدون بك : " عليك ان تكف عن الاعتداء على بلاد المسلمين ، فان الاعتداء عليها هو اعتداء على الاسلام نفسه ، وان من واجب السلطان ، وقد اوقف حياته للجهاد في سبيل الله ، أن يرد المعتدين على الاسلام اينما كانوا وايا كانوا " كما اشار الفاتح " أن له من القوة ما يمحق به قوة حسن الطويل ويمحوه من الوجود " س[٧٤] .

كانت معارك محمد الفاتح سنة ١٤٦١ في جهات اسفنديار ، بداية النهاية للوجود الاق قوينليي في الإناضول ، فقد نجح الفاتح في استرداد قلعة قوينلي حصار ثم أمر الصدر الاعظم محمود باشا ، بالزحف تجاه مناطق نفوذ آلاق قوينلي ، فعلى اكتاف مرتفعات كومندز جرت المعركة الحاسمة بين الطرفين الاق قوينلي – وآل عثمان، انتهت بهزيمة الاق قوينلي ووقوع معظم قادة الطويل في الاسر ، ومن جانب آخر اندفعت القوات العثمانية باتجاه امارة طرابزون عبر جبل بلغار ، فاسرع حسن الطويل الى ارسال والدته سارة خاتون لمقابلة محمد فاتح ، ولطلب العفو عن ابنها ، فنزل السلطان عند رغبتها غير أن توسلات سارة خاتون في اقناع الفاتح بعدم التعرض لامارة طرابزون وزعمها ان هذه الامارة تخص كنتها كاترين ، ذهبت ادراج الرياح [٧٥] .

لقد تبادل العاهلان الرسائل الاستفزازية التي تضمنت نعوتاً والقاباً ، لصقها كل طرف بالآخر ، ففي احدى الرسائل خاطب حسن الطويل السلطان العثماني بانه مجرد امير " امارة مآب " [٧٦] اشارة الى استخفافه ببلاط السلطان وادمانه على الخمر على ما يبدو ، فرد السلطان عليه بان خاطبه بلقب سردار عجم [٧٧] ، اشارة الى كونه دون مستواه في السلطنة ومهما يكن من أمر ، فقد قرر السلطان العثماني محمد الفاتح محاربة حسن الطويل ، ففي عام ١٤٧٢م / ٨٧٧هـ خرج السلطان على رأس حملة عسكرية ضمت المع القادة العسكريين ، امثال بكلربكي مصطفى باشا الذي استطاع في ١٩- آب – ١٤٧٢م من طرد القوات الاق قوينلية من قونية ، في حين انزل السلطان جام غضبه على الارمن في مدينة كماخر، ويبدو انهم كانوا متعاطفين مع الاق قوينلي بحكم علاقات المصاهرة بين الطويل وأمراء آل كومنيس في طرابزون .

اضطر حسن الطويل ازاء الاجتياح العثماني لمدينة قونيه وكماخ الى الانسحاب الى داخل اقليم اذربيجان أملا ان يكون نهر الفرات حائلاً دون التقدم العثماني ، غير أن هذا الامل تلاشى عندما استطاع العثمانيون عبور الفرات من مكان آخر غير المكان الذي توقعه حسن الطويل ، وبذلك اصبحوا وجهاً لوجه مع الاق قوينلي في السهول الواقعة جوار مرتفعات اوج اغزلي قرب تراجان الحصينة التي نصب عليها السلطان مدافعه [٧٨] .

وتسهب المصادر العثمانية في وصف المعركة الحاسمة بين العثمانيين وآق قوينلي فقد تحصن الطرف العثماني عند مرتفعات اوج آغزلي اعتباراً من ١٦ ربيع الاول ٨٧٨هـ يوم الاربعاء/ ١١ آب ١٤٧٣ م ، في حين تحصن الطويل عند مرتفعات اوتلق بالي otluk beli [٧٩] .

كان السلطان محمد الفاتح في قلب جيشه وابنه مصطفى على الميسرة وابنه بايزيد على الميمنة ، اما حسن الطويل فقد جعل نفسه في القلب أيضاً وجعل ابنه زينل على الميمنة وابنه الآخر اوغرلـــو محمد على الميسرة .

التحم الجيشان في معركة رهيبة ، ابدى خلالها الاميران العثمانيان وقواتهما شجاعة نادرة ، فقد انقض مصطفى على ميمنة الاق قوينلي ومزقها شر ممزق وقتل قائدها الامير زينل بن حسن الطويل ، كذلك فعل الامير بايزيد مما ارغم اوغرلو محمد على الفرار من ساحة المعركة وقد عمد الى استخدام الاسلحة النارية والمدافع بكثافة وكانت هذه الاسلحة تنطوي على خصائص دفاعية موجهة لازاحة تهديد معين اكثر من كونها صراعاً على الفتح او التوسيع .

أما حسن الطويل الذي لم يشترك في المعركة ، فقد اطلق لسيقانه العنان مع ثلة من جيشه تاركاً اسراه من القواد والجنود تحت رحمة غريمه ، وكان من بين الاسرى عدد من العلماء والقضاة ، يأتي في مقدمة هؤلاء القاضي محمود شريحي وقاضي حصن كيف ، والنشاينجى سيد محمد وقد أمر الفاتح بفك قيودهم واطلاق سراحهم [٧٩] ، وقيل ان الظروف الجوية هي التي حالت دون تعقب السلطان لغريمه حسن الطويل ، وملاحقته الى ديار بكر و وهناك رأي آخر يشير ان العثمانيين كانوا غير راغبين بالتوسع في اراضي المسلمين قدر الامكان ، لانهم كانوا يحملون راية الجهاد في سبيل في اوربا [٨٠] .

حقاً كانت موقعة اوج اغزلي بالقرب من قرية باشكنت Baskent قاصمة لظهر حسن الطويل الذي تقوقع داخل دولته لمعالجة الاوضاع المتدهورة فيها ، كما أن البندقية ادركت ان من مصلحتها التجارية البدء بصفحة جديدة مع العثمانيين ، فعقدت معاهدة صلح مع الدولة العثمانية سنة ١٤٧٨م /٨٨٣هـ وقد اعترف اوزون حسن بموجب هذا الصلح بالحاق طرابزون وقره مان بالدولة العثمانية ،كما اوصى ابناءه بعدم الهجوم ابداً على العثمانيين ، كما اقترن ابنه اوغورلو

محمد ميرزا بابنة الفاتح الوحيدة جوهر خانم السلطان و منح لقب باشا ، كما تزوج كوده احمد بك الذي ولد من هذه الزيجة باحدى بنات خاله بايزيد . ورغم من محولات البعض منع هذا التقارب بين الطرفين ، غير ان التقارب قد تحقق فعلا ومن الجدير بالذكر ان الطويل لم يعمر طويلاً فقد مات في سنة انتشار الطاعون في بلاده سنة ٨٨٢هـ / كانون الثاني١٤٧٨م [٨١] .

تحسنت العلاقات بين العثمانيين والاق قوينلي بعد وفاة حسن الطويل فقد عمل السلطان يعقوب بن حسن الطويل (١٤٧٨-١٤٩٠م) على تحسين علاقاته ، فقد اشار المؤرخ المعاصر خواندير الى ذلك بقوله : " ان السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١- ١٥١٢م) ارسل سفارة الى تبريز لتهنئة يعقوب بن اوزون حسن بمناسبة اعتلائه العرش، وقد استقبل اعضاء السفارة بحفاوة وتكريم من قبل يعقوب بن اوزون حسن ، وقد رجع الوفد ، لينقل للسلطان العثماني اعجابهم بقصر السلطان يعقوب (هشت بهشت) " الجنـــــــان الثمانية في العاصمة تبريز [٨٢] وفي القسم اللاحق من هذا البحث ، سنتطرق الى وصف لهذا القصر .

في الواقع ، أن تحسن العلاقات بين الطرفين يجب ان لا يفسر على اساس ميل السلطان العثماني بايزيد الى السلام واثارة البساطة في الحياة والانصراف الى الشعر والفلسفة التأملية فقط [٨٣] ، دون ان نأخذ بنظر الاعتبار ، المشاكل العائلية والصراع بين الامراء على السلطة ، فضلاً عن الخطر الجديد الذي بدأ يلوح في اردبيل ، ونقصد بذلك الخطر الصفوي كل ذلك يفّسر سبب حرص السلطان يعقوب على اقامة علاقات حسنة مع ابناء جلدته (آل عثمان) ، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، اذا كان الطرفان ينتميان الى نفس الاصل والانتماء الديني – المذهبي ،فبماذا يبرر كل طرف حربه مع الآخر ، يبدو لي ان التبرير كان يمكن في عدّ كل طرف الآخر مارقاً عن جادة الصواب ، وانما يقوم به هو المحافظة على بيضة الدين ، غير ان الطرح الاق قوينلي بدأ بمرور الزمن يضعف عندما ثبت العثمانيون انفسهم وقد شكل فتح القسطنطينية في سنة ١٤٥٣ عامل قوة لهذا الطرح – كقوة اسلامية فتية فتحت صفحة الصراع بين الشرق والغرب ، ولم تطوى هذه الصفحة لحد الأن .

٨- الاقطاع في عهد التركمان الاق قوينلي

قبل التركيز على نمط الاقطاع الذي ساد في عهد التركمان الاق قوينلي ، لا بد من الإشارة الى أن الوضع الشرعي والقانوني لحيازة الاراضي في الشرق الادنى لم يتغير ، فقد بقيت تقسيمات الاراضي التي كانت سائدة في نهاية العصر العباسي كما هي ، غير ان التسمية اختلفت بعض الشيء ، كما سأشير الى ذلك لاحقاً . فقد بقيت الدولة هي المالكة القانونية لمعظم الاراضي ، ولكن ريع الارض سار الى وجهة جديدة من بيت المال العام الى بيت المال الخاص [٨٤] ، لقد سار على مبدأ الملكية العامة للاراضي الحكام المسلمين جميعاً ابتداءً من المغول والايلخانين والقرة قوينلي والاق قوينلي،كما لم تتغير هذا المبدأ في ظل الحكم الصفوي في العراق او ايران .

فأصناف الاراضي كانت في العصر العباسي

(١) اراضي الخليفة .
(٢) اراضي الديوان أي ملك الدولة
(٣) ملكيات فردية [٨٥] .

(٤) اراضي الوقف

في الفترة التالية لزوال الخلافة العباسية ١٢٥٨م/ ٦٥٦هـ أصبحت تسمية اراضي الديوان تعرف باسم " اينجو " أي الاراضي الاميرية واراضي الخليفة عرفت بـ " خاص اينجو " وفي العهد الجلائري ١٣٣٦-١٤١٠ ظهر اسلوب جديد في منح الاراضي وادارتها ، عرف بـ " السويرغال " suyurgal واراضي السويرغال التي يمنحها السلطان على شكل انعام واحسان لبعض العاملين في البلاط او الذين يقدمون خدماتهم للدولة وكان السويرغال يتراوح عادة بين قرية واحدة او عدة قرى ، كما كان على صاحب السويرغال بعض الالتزامات العسكرية أيضاً [٨٦] وقد استمر السويرغال في عهد القرة قوينلي والاق قوينلي ، ولكن بشكل عام ابتعد كثيراً عن سابقيه الى درجة ان الاقطاع الاداري والصفات تراجع لصالح الاقطاع العسكري ، ويعلق اشتور على هذا الموضوع قائلاً :

وجرى استكمال النظام الاقطاعي لحيازة الاراضي في العراق في ظل التركمان ، ولكن المرحلة الاولى في هذا التطور بدأت في عهد الجلائريين ، واختفى تعبير الاقطاع وحل محله التعبير المغولي (سويرغال) إنه ليس مجرد تغير في الاسم ، بل اعترى النظام نفسه تغيير كبير ، فبينما كان الاقطاع في العصر الايلخاني منحة مشروطة تسحب عند اخفاق الاقطاعي في تنفيذ التزاماته ، اصبحت السويورغال وراثية حتى لو نص على ذلك صراحة في وثيقة المنحة ، فقد عدّت المنحة دائمة على الرغم من وجوب تأكيدها من قبل خليفة الامير الذي منحها ، وثانياً حصل الاقطاعيون على حصانة ادارية وقضائية ، ويقرأ المرء في وثائق الاقطاعات في هذه الفترة أن " ارجل الموظفين قد ازيلت واقلامهم قد رفعت " [٨٧] فبعدما كانت المنحة سويرغال " في العهد الايلخاني والجلائري ، قرية او عدة قرى ، اصبحت تشمل مدناً او اقاليم بكاملها ، كما توسعت دائرة المستغلين للاقطاع فئات اخرى لا تقوم بمهام عسكرية ، فقد منح اوزون حسن ، الذي حاول كسب دعم رجال الدين – كثيراً من الاقطاع لافراد هذه الطبقة " على الرغم من ان الخدمة العسكرية ما زالت مطلوبة من الاقطاعيين [٨٨] .

إن التوسع في منح الاقطاعات سواءً للقادة العسكريين ، أو الفئات الاخرى ، ادى بمرور الزمن الى الحاق اضرار كبيرة سواء لمالكي الاراضي باسلوب الضمان او الالتزام ، أو بالفلاحين العاملين فيها الذين وقعوا تحت رحمة الامراء والحكام، فضلاً عن ذلك فان التوسع في اقطاعات تحمل طابع الاستغلال للارض والانسان ، اديا عملياً الى تفكك السلطة المركزية وعلى الرغم من تحسس الدولة بهذه النتيجة ، إنها لم تحاول الحد من هذا الاتجاه وربما كان السبب هو انشغالها بحروبها الخارجية خاصة مع الدولة العثمانية واقتصرت اصلاحات مؤسس دولة الاق قوينلي اوزون حسن على اصلاحات مالية وادارية ويعتقد مينورسكي Minorsky ان الحكام وتحت مظلة النظام الاسلامي كانوا يسعون الى التقليل من ضعف السلطة المركزية الناشئ عن نظام منح الاقطاعات عوضاً عن الرواتب [٨٩] ، وقد جاء هذا النظام بنتائج وخيمة حيث تطور عدد من الاقطاعات الى امارات مستقلة ، ولذلك قام آخر امراء الاق قوينلي بمحاولات لاستعادة الاقطاعات والاراضي الممنوحة للاغراض الدينية – او على الاقل جزءاً منها ، وجرت هذه المحاولة في آخر عهد يعقوب شاه (٨٨٣-٨٩٦هـ) ولكنها لاقت معارضة امراء الاقطاع والفقهاء ايضاً [٩٠] ، وتبع موت يعقوب شاه سقوط الموظفين الذين كانوا يقومون بهذه الاصلاحات .

أما آخر حكام هذه السلالة – احمد – فقد رفض تأكيد السويرغال التي منحها اسلافه مما يعني النية في الغاء منح الاقطاعات،ومرة اخرى عارض امراء الاقطاع نوايا الامير الحسنة ، واسقطوه خلال بضعة اشهر [٩١] ، اذ وجد هؤلاء

في مشاريع احمد بيك الاصلاحية سواء فيما يتعلق بحيازة الاراضي او الضرائب غير الاسلامية الشائعة ، ودعوته الى تطبيق احكام الشريعة الاسلامية دون تهاون ، وكبح جماح بعض الفقهاء الذين كانوا لا يختلفون في معاملتهم لفلاحيهم عن الامراء الاقطاعيين سواء في مطالبتهم بضرائب ورسوم قبل حلول وقت جبايتها ، أو التقديرات العالية لها بما يضمن اكبر دخل مالي لهم [٩٢] .

وتأسيساً على ما سبق نستطيع القول ، ان الاقطاع في عهد التركمان الاق قوينلي في صورة السويرغال " المنحة " بقدر ما قدم من دعم للسلطة الحاكمة في عهد مؤسس دولة الاق قوينلي اوزون حسن ، فأنه اصبح في الفترة التالية لوفاته ، معول هدم للسلطة المركزية التي تشظت في صورة امارات اقطاعية متصارعة ، حاول أمراؤها الوقوف بوجه أية حركة اصلاحية مالية وادارية تفضي الى الحاق الضرر بمنافعهم المادية المتحققة من خلال حيازة الاراضي بشكل غير شرعي ، او فرض ضرائب ورسوم ما انزل الله بها من سلطان وازاء عجز حكام الاق قوينلي الوقوف بوجه الاقطاعيين ، عمدوا الى بيع اراضي الى العناصر المحلية غير المسلحة [٩٣أ] من اجل الحصول على موارد مالية لوقف التدهور الاقتصادي في البلاد .

٩- الضرائب والرسوم في عهد الاق قوينلي

سأركز في هذا المبحث على الضرائب غير الشرعية التي تنوعت ، وخضعت جباياتها لأمزجة الحكام المحليين ، وهم إقطاعيون بطبيعة الحال ، تركوا امر الجباية لوكلائهم ، ومن الضرائب التي شاعت ضريبة ارغادية ، وهي ضريبة قديمة كانت تؤخذ من المنازل لاغراض التعمير ، وكذلك ضريبة تمغاي سياه Tamgayi Siaha وضريبة باج بزرك Bac Buzurk ، وهما ضريبتان تفرضان على السلع والمنتوجات الزراعية والصناعية والاواني النحاسية والفضية والاحمال، والفرق بين تمغاي سياه وباج بزرك ، الاولى تؤخذ من السلع التي تمر من مدينة الى اخرى وهي للبيع ، في حين باج بزرك هي ضريبة العبور فقط [٩٣ب] ، وقد اراد اوزون حسن ان يبطل التمغات من اصلها فلم يوافقه امراؤه فجعلها درهماً عن كل عشرين درهم أي تحددت النسبة ١: ٢ حتى مع هذا التخفيف في النسبة فقد بلغت١٢ مرة بقدر ما كان معمولاً به اثناء الحكم المغولي في العراق وايران .

وقد جرت عدة محاولات لالغاء هذه الضريبة التي تنوعت تحت تسمية التمغا ففي صفر ٨٩٤هـ / كانون الثاني ١٤٨٩ حاول القاضي نجم الدين مسعود البراونجي " من كلمة بروان " أي الطائر وصاحب هذا المنصب مسؤول عن الضرائب الطائرة أي ما يتعلق بالمبادلات وأوامر اليقين والوظائف غير العالية كما يبدو الذي عينه السلطان أمير للديوان ، الذي اصدر امراً يتضمن بالزام النبلاء واشراف العراق وفارس بجمع المال بوسائل قانونية ،يعادل المال المستحصل من ضريبة التمغا المتنوعة ، وكان ذلك تمهيداً لاصدار امر سلطاني لازالة الضرائب غير الاسلامية ، غير ان هذه المحاولة قد فشلت بسبب معارضة القوى المحلية المتنفذة في الاقاليم وتندرج محاولة القاضي عيسى الساوي في ازالة الضرائب والرسوم غير الاسلامية في اطار المحاولة الاولى فبعد ان كان يتلقى الدعم من السلطان يعقوب بن اوزون حسن ، غير ان وفاة الاخير في يوم الثلاثاء ١١ صفر ٨٩٦هـ / ٢٤ كانون الاول ١٤٩٠م،جعلت مصير القاضي عيسى في مهب الريح ، فوضعت الاغلال في ايدي القاضي عيسى في ٨ ربيع الاول / ١٩ كانون الثاني ١٩٤١م ، وقد شنق بعد اربعة

ايام في اردو بازار ، و قد وجد القادة العسكريون من امثال صفي خليل الذي تولى حماية السلطان الرضيع باي سنقر، في خطة القاضي عيسى الرامية بالعودة الى الاسلام خطراً على مصالحهم ، طالما مس الاخير المنافع المادية لاصدقائه من رجال الدين ، اقاربه في بلاد فارس [٩٣ج] تأسيساً على ما سبق نستطيع القول ، ان القاضي عيسى وقبله القاضي نجم الدين الذي هرب بجلده ، القاضي لاري وغيرهم ، قد شكلوا تياراً اصلاحياً ، يدعو الى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وفي مقابل ذلك كان القادة والامراء الاقطاعيون ورجال دين آخرون ، ممن ارتبطت مصالحهم المادية بالتشريعات غير الاسلامية يقفون ضد التيار الاصلاحي ، وقد استمرت المواجهة بين التيارين واتسعت لتشمل الغاء كافة الضرائب غير الاسلامية مثل ضريبة الديوانية التي تفرض في اوقات الطوارئ مثل الحروب والمجاعات والزلازل وغيرها ، وضريبة الاخراجات والشلتاتات ، الاولى ضريبة تتعلق بمواسم معينة كتلك التي تتعلق بوصول الرحالة الرسميين ، والثانية تعني الذريعة ، وهي ضريبة كيفية .

وقد دفع السلطان احمد بيك حياته ثمناً لذلك اذ قتل في معركة جرت بالقرب من اصفهان في يوم الاربعاء ١٧ ربيع الثاني ٩٠٣هـ / ١٣ كانون الاول ١٤٩٧م ولم يمض على تسلمه العرش اكثر من ستة اشهر ، والسبب في قتله هو محاولته تغيير السياسة المالية للدولة من خلال اعفاء كل السكان من الضريبة الديوانية وتحديد رواتب ملاك السويرغلات ، وأمره باغلاق ابواب الاخراجات وتوسعه في منع جباية أي اموال غير قانونية ، ودعوته لاحترام رجال الدين والعلماء واستخدام العطف مع الرغبة ،كما دأب من جانب آخر الى عقد المناظرات العلمية كما اشترك فيها بنفسه ،وقد كان بمعيته شيخ اسمه النفطجي علي ، كان الموجه الديني له ، ولم يعارض ابداً أيّ رأي من ارائه .

ومما لاشك فيه ان محاولة احمد بيك تقليم اظافر اصحاب السيورغالات وتقربه من السكان بالغاء الضرائب غير الاسلامية كما ان شخصيته التي وصفت بانها محبوبة ، قيل ان وجهه ابيض متورد ، كما كان قصير القامة وقصير القدمين وكان يسمى لذلك جغتاى احمد ، وكان ينقش على خاتمه :

قولوا لشفاه الدراويش ان تبتسم بدقة لاننا سنقتلع المنافسين .

ربما كانت هذه العبارة اشارة الى أنه كان يشعر بوجود معارضين له حسب قول مينورسكى ، أن احمد بيك كان يبعث برسائل الى علماء عصره ، فقد كتب رسائل الى مولانا جلال الدين الديواني ،ومير صدر الدين محمد ، وكان يختم رسائله بالشعر ، ومضامين هذه الرسائل ، تدور حول احكام العدالة ، لجعل الترك (الاق قوينلي) يكفوا ايديهم من على رأس الطبقات الدنيا والفقراء ،ومع ان هؤلاء الاتراك قد اذعنوا لرأيه الا أنهم كانوا يضمرون المعارضة لهذه الاراء وكان يعرف ذلك فأخذ يقتل كل بضعة ايام احدهم ، وقد تنفس الصعداء ، من تضررت مصالحة من سياسة احمد بيك المالية ، عند سماع مقتله كما مرّ بنا .

وترد اشارات الى وجود ضرائب ورسوم مثل " قويجر " وهي ضريبة قديمة كانت تفرض على الماشية " الماعز والغنم " في البداية ، ثم اشتملت على البشر والماشية معاً [٩٣د] وضريبة مال الامان ، وتؤخذ من سكان المدن المفتوحة مقابل الحفاظ على ارواحهم ، وضريبة راهداري ، أي المرور ، وضرائب اخرى باسم التكاليف الديوانية وباسماء مختلفة بلغ عددها اربعة في احد الفرامين الصادر في عهد يعقوب سنة ١٤٨٨وفي فرمان آخر صادر باسم الامير قاسم بن جهانكير سنة ١٤٩٨م بين ١٧-٣٠ ضريبة منها الاخراجات والعوارض والشلتاتات والتوجيهات والقسمات

والعلفة والعلوفة ورسم الوزارة ونوروزي والبشكش وسلامانه ووليجلك ويايحلك وقايو جلك ، وكانت تجبى اما نقداً او عيناً من قبل اصحاب الضمان او الاقطاعين (٩٣هـ) .

وتأسيساً على ما سبق ، نستطيع القول ، أن محاولات تبديل السياسة المالية في دولة الاق قوينلي ، التي باشرها السلطان يعقوب ، أو السلطان احمد بيك ، قد واجهت معارضة قوية من قبل العناصر المحلية من قواد وامراء ، ومبررات هذه المعارضة قائمة في الخوف من انهيار الاساس المادي للامتيازات التي كان يمتع بها اصحاب الاقطاعات الكبيرة أو الصغيرة في ظل سبعة حكام من الاق قوينلي ، لذا تعدّ محاولة احمد بيك في الحد من منح الاقطاعات وتنظيم جباية الاموال واعمام العدل بين الرعية ، مظهراً للاصلاح الزراعي في فترة مبكرة من تاريخ الشرق الادنى الحديث (٩٣و) .

١٠- الاوضاع العامة في العراق خلال العهد الاق قوينليي ١٤٧٠-١٥٠٨م

بعد مصرع جها نشاه آخر حكام القرة قوينلي عام ٨٧٢هـ ، آلت حكومة بغداد الى الاق قوينلي ، وقد قررّ حسن الطويل أسس الادارة في العراق عند محاصرته بغداد ، فجعل ابنه مقصود بيك حاكماً على بغداد ومعه عدد من الامراء كل منهم يحمل لقب بيك منهم خليل اغا الملقب بكور خليل (الاعور) وقورقماز بيك (الجريء) وكان ذلك سنة ٨٧٣هـ - ١٤٦٩م كما عين الطويل اغا التواجي حاكماً على الموصل وعهد الى شاه علي حاجي حاكماً على اربيل (٩٤) .

يبدو ان استعانة حسن الطويل برجال العهد السابق (القرة قوينلي) كان يتوافق مع المنهج الذي خطه لنفسه في تشريع قانون موحد لدولة الاق قوينلي ينسجم والتطور الحاصل في حدود البلاد التي ضمت شعوباً مختلفة في المآرب والمشارب ، كما أن هذا التشريع يتيح له المجال لغرض فرض سيطرته المطلقة على كافة مؤسسات الدولة .

تميز تاريخ العراق خلال الفترة ١٤٧٠-١٤٧٧م باستقرار نسبي . اذ لم ترد في المصادر المتوافرة والمعاصرة للاحداث اشارة الى اضطراب احواله ويعود ذلك الى ان العراق لم يعد ساحة صراع بين القوى السياسية ، بعد انهيار حكم القرة قوينلي فيه ، اذ انتقل الصراع الى الاناضول ، وقد مرّ بنا المواجهة العثمانية - الاق قويلنوية وهزيمة الطويل في معارك سنة ١٤٧٣م ، التي دفعت الطويل الى طي صفحة مناداة نفسه الحاكم الوحيد في العراق وبلاد فارس والاناضول ، والتعامل مع القوى السياسية في الاناضول واذربيجان على وفق سياسة الامر الواقع ، وقد تمثل ذلك ايضاً بنقل عاصمته من آمد (ديار بكر) الى تبريز ، وبفعله هذا كما يقول Roemer " فقد اختار مكاناً لاقامته ومتبعاً تقليداً قديماً حيث اختار تبريز كعاصمة كل من حكام الخروف الاسود وقبلهم خانات المغول والجلائريين من بعدهم " ... كما ان هذا الاجراء مهّد لنزوح موجة تركمانية جديدة من الاناضول وهنا تعامل حسن الطويل مع القوى المحلية الدينية في اردبيل تعاملا يقوم على احتواء هذه القوى خاصة الاسرة الصفوية لصالح الاق قوينلي فقد زوّج بنته الكبرى المسماة مارتا Marta الى حيدر بن جنيد الصفوي ،والتي اشتهرت بين التركمان باسم Halime Begi وكانت تنادى أيضاً باسم علمشاه بكم ، وقد انجبت مارتا في ١٧ تموز ١٤٨٧م ولدها " اسماعيل " الذي سيلعب دوراً في تصفية دولة الاق قوينلي كما سنرى لاحقاً والملاحظة الجديرة بالاشارة الى ان الطويل منح حيدر بن جنيد حكم اردبيل قبيل وفاته سنة ١٤٧٨م .

والسبب الثاني في استقرار الاوضاع في العراق خلال الفترة ١٤٧٠-١٤٧٧م ، يكمن في شخصية حسن الطويل التي وصفت بانها مرهوبة الجانب ، كما اشارت مصادر محلية الى ان الطويل كان " احسن حكام الاق قوينلي ديناً وعدلاً " [٩٥] في العراق وأنه كان قاهراً صاحب شوكة ومحباً لرعاياه ومهتماً بشوؤنهم، ولا يحتاج الباحث الى كبير عناء في ربط هذا الوصف بالاصلاحات العدلية والاجتماعية التي أمر بها الطويل بعد الحاق العراق الى دولته منها .

١- أنه اطلق خراج المال الذي يؤخذ من جميع الرعايا قبل توليه السلطة في العراق ويبدو ان هذا الاجراء اتخذ من اجل تطمين السكان ، بعد الفوضى التي رافقت انتقال العراق الى حكم الاق قوينلي .

٢- أمر بغلق جميع بيوت اللطف (الملاهي) وتوابعها من الخمر والميسرة في جميع انحاء البلاد .

٣- عمم على جميع حكام المدن العمل بالقانون الجديد الذي عرف بدستور (حسن بيك) او (قانون حسن بادشاه) يقول المؤرخ المعاصر الغياثي : " كتب قانون نامه في الشكاوى والتخاصم الذي يقع بين الناس ما يوجهه على كل شيء من التعزيز والتحريم وغير ذلك وارسلهما الى جميع البلاد ، بان يعملوا بموجبها ولم يغادر من امور العدل شيئاً يقدر عليه إلا فعله " [٩٦] كما تضمن القانون المذكور اسساً حول كيفية ضبط جباية الاموال من الرعايا ومن اجل ضمان تطبيق القانون المذكور ، عُهدت الامور المالية في العراق سنة ٨٨٣هـ الى القاضي عيسى الساوي الذي عهد بها الى الشيخ نجم الدين مسعود ابن اخته ، وفي عهده اغلقت ابواب الضرائب ومنع أي شخص من استيفاء الاموال من الناس دون حق [٩٧] .

كانت وفاة حسن الطويل سنة ٨٨٢هـ /١٤٧٨م [٩٨] بداية لمرحلة من الاضطراب والفوضى في تاريخ دولة الاق قوينلي ، فقد تفاقم الصراع بين الامراء التركمان الطامعين في السلطة ، ويكفى ان نشير الى انه خلال عامي ٨٨٢-٨٨٣هـ / ١٤٧٩-١٤٧٩ م ، جاء الى حكم بغداد خمسة من حكام الاق قوينلي ، كان آخرهم مراد بن جهانكير الذي لم يحكم سوى ثمانية اشهر، اذ قتل عندما جرّد حملة عسكرية على سيده السلطان خليل في تبريز في ١٤ ربيع الاول ٨٨٣هـ في محاولة لازاحته عن العرش ، ومهما يكن من امر ، فان الصراع على السلطة بين ابناء واحفاد حسن الطويل ادى الى ان يقتل بعضهم بعضاً فما أن اطل عام ٩٠٣هـ /١٤٩٧م ، حتى لم يبق من نسل اوزون حسن غير ثلاثة امراء هم مراد بيك بن يعقوب في شيروان ، والوند بن يوسف بيك في اذربيجان ومحمدي بيك بن يوسف بيك في العراق ، وقد قتل الاخير عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م على يد مراد بن يعقوب بيك الذي اعلن نفسه حاكماً على بلاد فارس والعراق ،ومن جانب آخر فقد اعلن الوند ميرزا استقلاله عن دولة الاق قوينلي في الجهات الشمالية بما فيها تبريز وشروان ، غير ان الوند ميرزا وجد نفسه امام مأزق حقيقي ، عندما زحف الشاه اسماعيل بن جنيد الصفوي ومعه اتباعه الكثر ومن المتحمسين لمشاريعه التوسعية ، فألحق الشاه اسماعيل الهزيمة بحاكم شروان فرخ ديار الذي لقى حتفه في ساحة القتال ، وقد وضع هذا النصر اسماعيل وجهاً لوجه مع الوند ميرزا حاكم الاق قوينلي في اذربيجان ، والتقى الطرفان في شرور سنة (١٥٠١) م ، فانهزم ميرزا خلفاً وراءه خسائره كبيرة ،وكان من اهم نتائج هذه المعركة سيطرة الشاه اسماعيل على مدينة تبريز التي دخلها سنة ٩٠٧هـ / ١٥٠٢/١٥٠١م معلناً قيام الدولة الصفوية ،

ومتنكراً للجميل الذي اسداه حسن الطويل ، عندما اوى والده وزوجه ابنته الجميلة مارتا ، معتقداً ان انتمائه الاثنى سيجعل منه ومن اولاده حلفاء طبيعيين له [٩٩] ناسياً ان السياسة كما هي حالها دائماً قديماً وحديثاً لا تعرف قرابة ولا صداقة دائمة بل مصالح شخصية ولكنها تغلف باطار مذهبي او تبرير فقهي .

لقد ادرك سلطان الاق قوينلي مراد بن يعقوب ، حقيقة التوسع الصفوي وان الشاه اسماعيل ، سوف لن يتركه وشأنه ، فزحف بقواته نحو همدان فالتقى الطرفان سنة ١٥٠٣م في همدان في معركة تعُد من اشرس المعارك التي خاضها قائدان تركيان في مطلع القرن السادس عشر ، وقد ترك لنا الرحالة الايطالي كاترينو زينو وصفاً للمعركة التي دارت بين الشاه اسماعيل والسلطان مراد اذ يقول :

((لقد كانت خسارة مراد في الارواح هائلة فادحة جداً حيث بلغ قتلاه حوالي ثلاثين الفاً ، كوم الشاه اسماعيل جثثهم على شكل هرم في ساحة المعركة ، أما مراد ، فانه استطاع الفرار مع سبعين من اتباعه المخلصين الى بغداد ومنها اتجه الى حلب ، ثم اراضي علاء الدولة ذي القدر الذي استقبله بالحفاوة والترحيب ، وأخذ يبعث في نفسه الامل ويشجعه على اعادة تكوين جيشه ، وذلك لاستعادة مملكته ليس هذا فحسب ، بل بادر لى تزويجه من احدى بناته زيادة في اظهار الحب والمودة له وذلك كرها للشاه اسماعيل ، كما سعى السلطان مراد الى تشكيل جبهة عسكرية مع المماليك ضد الصفويين غير ان هذه المحاولة باءت بالفشل))[١٠٠] .

أما بغداد التي توقعت هجوماً صفوياً عليها فحاول حاكمها باريك بيك برناك ، ان يكسب الوقت لتنظيم قواته اسوار بغداد وتهيئة المؤن والتضييق على العناصر المحلية المتعاطفة مع الشاه اسماعيل الصفوي ، فارسل الى الشاه اسماعيل الصفوي رسولاً وهو ابا اسحاق السيرجي ، وهو يحمل هدايا نفيسة للشاه ، واعلان ولاء حاكم بغداد للشاه اسماعيل ، غير ان الشاه اعتراه غضب شديد ، عندما علم بعدم حضور حاكم الاق قوينلي باريك بيك بنفسه ، فأمر احد قادته لالا حسين بقيادة حملة عسكرية ، وما ان اقتربت الحملة من بغداد حتى اعد باريك بيك عدة الرحيل ، والتحق بسيده السلطان مراد في حلب ، تاركاً اهل بغداد ، تحت رحمة القدر .

بعد رحيل باريك بيك آخر حكام الاق قوينلي عن بغداد قامت العناصر المتعاطفة مع الشاه اسماعيل ، باخراج احد قادتهم المدعو محمد كمونة من السجن ، وتوليته الامور لحين اتضاح الموقف ، وقد بادر هذا باعلان الخطبة باسم الشاه كما سك النقوذ باسمه ، كما استقبل الجيش الصفوي ، هو واتباعه ، وقد اشارت المصادر الى قائد الحملة الصفوية لالا حسين ومن بعده الشاه اسماعيل ، بتكريم كمونة ، واغراقه بالنعم الوفيرة ، كعنصر خان سيده السابق ، وارتمى بلا مبرر في حضن سيده الجديد .

هكذا انطوت صفحة حكم الاق قوينلي في العراق سنة ٩١٤هـ /١٥٠٨م [١٠١] ، وبدأت صفحة الاحتلال الصفوي الذي امتد ليشمل العراق بحدوده الحالية ، خلال الاشهر التالية للوجود العسكري الصفوي في بغداد ، ومما سهل هذا الانتشار السريع للقوات الصفوية ، عدم وجود مقاومة فعلية من قبل السكان ، وتلكؤ القوى الاقليمية العثمانية – المملوكية في دعم آخر السلاطين الاق قوينلويين مراد بن يعقوب .

وبسقوط دولة الخروف الابيض (الاق قوينلي) تكون الموجة الثانية للاتراك العائدين من الاناضول نحو الشرق ، قد شارفت على نهايتها وكانت هذه الموجة من الحجم الكبير بحيث تشكلت فيها دول كانت تبشر بالنجاح ،

الا أن نجاحها لم يدم لفترة طويلة ، اذ كانت هذه الدول مرتبطة بشخصياتها المؤسسة لها ، ولم نلمس من التنظيم السياسي في تكوينها لكي يؤكد استمراريتها [١٠٢] .

١٢- المؤسسات السياسية والعسكرية والاقتصادية في دولة الاق قوينلي

لقد كانت نظم الدولة والادارة عند الاق قوينلي ، شبيهة بنظم الدول الاسلامية التركية ، فكانت السلطة عند الاق قوينلي ، ملكاً مشتركاً للعائلة الحاكمة [١٠٣] ، ولكل فرد من هذه العائلة حق التصرف بالمملكة على السواء لذا كان حكم المدن الرئيسة في الدولة ، يقسم بين ابناء من العائلة ويتمتع بامتيازات شبيهة بامتياز السلطان الوالد وينتقل الحكم ضمن العائلة الحاكمة وعند وفاة السلطان ، كان الاقوى من ابنائه يستحوذ على العرش وكثيراً ما سبب هذا صراعاً دموياً بين ابناء السلطان المتوفي اذ ظلت القيم القبيلة المتوارثة تتحكم في آلية جلوس السلطان على العرش الذي يحمل لقب سلطان ، ويميز السلطان عادة بحملة راية " علم " خاصة به تعرف باسم " رايات همايون " وتكون بلون ابيض ، وعليها اسم السلطان ، وتحتفظ مكتبة طوب قابو سراي بعلم اوزون حسن بلون ابيض ، وهو لون علم البايندرية ، في حين يحمل حكام المدن الرئيسة لقب " أمير " والسكة تضرب باسم السلطان الحاكم وقد حملت النقود المضروبة في عهد سلطان العادل عبارة:سلطان عادل حمزة بهادر [١٠٤] .

كان الحاكم الاق قوينلي ، يتخذ من السراي **Saray** مقراً له ، ويعرف قصره هذا باسم دركاه **Dergah** أو دولت خانه **Devlethune** والقصر بمثابة العاصمة للدولة ، وفيه تتخذ القرارات وتصدر الاوامر السلطانية التي تختم عادة بختم **Damga** " تمغة " في حين استخدام العثمانيون الطغراء في اوامرهم السلطانية [١٠٥] .

كانت مصالح الدولة الاق قوينلوبية تدار من قبل الديوان ، ويقال لرئيسه حاحب الديوان **Sahibi divan** وله ختم خاص ، يختم به المراسلات والاوامر السريعة ، وتعيينات الامراء على المدن والولايات ، ولدينا نماذج من الاوامر السلطانية الخاصة بحكم اوزون حسن في الوثيقة المؤرخة في ايلول ١٤٧٢/ ربيع الاخر ٨٧٧هـ والخاصة بـ بير احمد قرمان اوغلو ، نجد عبارة (الحكم) وفي الجانب الايسر عبارة الواثق بالملك الرحمان حسن بن علي بن عثمان وفي اعلى الوثيقة وعلى الجانب الايمن ختم يحمل الشكل الآتي

اشارة الى البايندر وفي اسفل هذا الشكل عبارة ابو النصر حسن سوزومز وتقترب هذه العبارة من العبارة الشائعة نحن .... أمرنا بما هو آت .

كان صاحب الديوان اعلى سلطة ادارية في الدولة ويشرف على جميع الامور العدلية والقضاء والمالية فضلاً عن اشرافه على مراسيم استقبال وتوديع السفراء والملوك الذين يفدون الى بلاط الاق قوينليي . كما يتبع صاحب الديوان . الكتبة الذين يحررون الاوامر السلطانية ، ويعرف رئيسهم باسم " بروانه جى " أي محرر الامر السلطاني ويثبت اسمه في الامر ، ومعظم المراسلات كانت تجري باللغة الفارسية ، كما استعمل المحرر لغة الحروف الايغورية في مراسلاته التركية ، ومن الجدير بالذكر ان محور هذه الرسائل والمراسلات السرية كان يشغل منصب " كاتب الانشاء " قريب من وزارة الخارجية الان وممن شغل هذا المنصب هو المؤرخ الكردي ادريس البدليسي (١٤٥٢-١٥٢٠م) وامتاز باسلوبه الادبي وعاصر اكثر من سلطان في دولة الاق قوينلي ثم التحق بخدمة الدولة العثمانية سنة ١٥٠٢م ، وسيلعب البدليسي دوراً هاماً في التاريخ الدبلوماسي العثماني في المرحلة التالية لمعركة جالديران

سنة ١٥١٤م في كسب ود امراء الاكراد لصالح العثمانيين كما سنذكر ذلك لاحقاً . كانت الاوامر العدلية ، تناط بالقضاة وكبيرهم يحمل عنوان قاضي القضاة و كان القاضي المدني يعرف باسم " صدر " ويترأس ديواناً يعرف بديوان الصدارات في حين كان القاضي الذي ينظر في المسائل العسكرية يحمل اسم " قاضي عسكر " [١٠٦] . وكان لقب كبير قواد الجيش الاعظم ، وكل قائد كبير من القواد كان اتابكاً لاحد افراد العائلة من ولاة العهد ، ولهذه الدولة جيش دائم يبلغ عدده نحو ٣٠.٠٠٠ جندي برواتب مخصصة ومعينة .

كانت لحكام الاق قوينلي والقرة قوينلي ، فرقة خاصة للحماية تعرف باسم قوروجي Korui تتولى مهمة المحافظة على السلطان ، كما كان بمعية اولاد السلطان قوة خاصة تعرف باسم نوكران خاصة Nokerani hass وقد عدد افراد حماية شاهزاده خليل بن اوزون حسن بـ ٣٢٣٠ نوكر .

وجدت وظيفة تواجي Tavaci ومن يشغلها يسمى امير التواجي Emir Tavaci او تواجي باشي Tavaci Busi ومهمة هذا الامير هو استدعاء الجيش عند تجريد حملة عسكرية ، وهو يقترب من منصب مدير التعبئة العسكرية في الجيوش الحديثة ، ودائرة التواجي تسمى ديوان التواجي ، الذي يحفظ اسماء قادة المناطق وعدد الجنود وعناوينهم وصنوفهم " صنف المشاة Piyade " او صنف عزب Azap " الفرسان الخفاف " كما كان للتواجي واجب آخر ، هو مرافقة الحملات العسكرية وتسجيل اسماء الاسرى والغنائم وايصالها الى الديوان ، فاثناء حملة السلطان يعقوب بيك على كورجستان ، تم تدوين موجودات القلاع التي سيطر عليها الاق قوينلي في سجلات رسمية وارسالها الى العاصمة .

كان الجيش عند الاق قوينلي ينقسم الى بلوك Boluk ، ثم طابور Tabur وآلاي Alay ثم تبTip ثم فوج Feye ويشير اسماعيل حقي اوزون جارشلي ان تب Tip يقابل لواء في المصطلحات العسكرية السائدة الآن ، والمعروف ان ثلاثة أفواج تشكل لواءاً .

كان الجيش عند الاق قويلنو في وقت الحركات العسكرية ، يوزع بالشكل الذي كان سائداً في الجيوش الاسلامية الاخرى ، فهناك قوة (الاستطلاع) التي تسمى قرة قول Karakol .

كان لقب الجيش يعرف باسم اولوغ قول Liug kol ويقوده السلطان عادةً ، ثم الميمنة " بارانغار Baragar او برانغار Brangar ثم الميسرة جوانغار Conggar أو Curangar ، في حين كانت المؤخرة وتعرف باسم Karagah معها قوات احتياطية وتكون على مسافة يومين او ثلاثة عن الجيش المهاجم ، واحتياطي المؤخرة يعرفون باسم اوروغ urug [١٠٧] .

كانت الادارة عند الاق قوينلي ، والقرة قوينلي ، ترتبط ارتباطا وثيقاً بالنظام الاقطاعي ، الذي يمنح نظرة خدمة حربية ، فصاحب الاقطاع ، يلزم باحضار عدد من الجنود يتناسب مع حجم اقطاعه ، والشيء اللافت للنظر ، أن الاقطاع الذي ساد في عهد الحكام التركمان من القرة قوينلي والاق قوينلي ، كان اقطاع مدن ، يمنح الى اولاد السلطان الحاكم ، ولم يكن هؤلاء الحكام الاقطاعيين يقطعون من حسابهم القوى المحلية المتنفذة من القبائل والعشائر ، لذا عّمد هؤلاء الى منح الاراضي الى هؤلاء كأقطاعيين محليين عليهم واجباب عسكرية ، فالولايات مثل فارس ، ويزد ، واصفهان ، بغداد ، ديار بكر ، اذربيجان ، شرق قرة ، حصار منحت كاقطاعات الى اولاد السلطان الاق قوينليي " شاهزادات " وقد وجّد منصب داروغه Duruga وعليهم واجب مزدوج هو جباية الضرائب والمساهمة في

الحملات العسكرية ويقابل هذا المنصب سنجق بيك في الترتيب الاقطاعي العثماني وقد مرّ بنا في مبحث سابق ، كيف ان اوزون حسن اصدر تشريعاً نظم فيه كيفية جباية الضرائب سواء الضرائب الشرعية ، أم الضرائب غير الشرعية التي ترتبط جبايتها بالظروف غير الاعتيادية ، ومن هذه الضرائب ضريبة الديوانية التي تفرض لمواجهة الحالات الطارئة مثل المجاعة ، او الحرب وضريبة ارغادية وهي ضريبة قديمة كانت تؤخذ من المنازل لاغراض تعمير القلاع ، وضريبة تمغاي سياه وضريبة باج بزرك ، وهما ضريبتان تفرضان على السلع والمنتوجات الزراعية والصناعية والاواني النحاسية والفضية والاحمال والاكلاك والفرق بين تمغاي سياه وباج بزرك . ان تمغاي سياه تؤخذ من السلع التي تمر من مدينة الى اخرى وهي للبيع في حين باج بزرك هي ضريبة العبور فقط ، كما نجد اشارة الى رسم اسباب Resim – asya الذي يفرض على الطواحين ، كما يلمس الباحث وجود رسم العروس ، سواء زواج الباكر أم المرأة الثيب ، و غيرها من الضرائب والرسوم نظمت بموجب دستور حسن بيك (اوزون حسن) وهو مجموعة قوانين تخص ادارة الاراضي وجباية الخراج فضلاً عن تنظيم الحياة الاجتماعية والادارية في البلاد [١٠٨] .

لقد اصبحت تشريعات حسن الطويل مصدراً هاماً لمعظم القوانين العثمانية لفترة غير قصيرة ، واشارت الوثائق العثمانية اليها بمصطلح " قانون عتيق " أي القانون القديم ، والذي يقصد به قانون حسن بيك ويعلق Roemer في دراسته المعمقة عن الدولة التركمانية مهارة الطويل العسكرية والسياسية اذ يقول ما نصه :

" بالاضافة الى صفاته العسكرية فقد امتلك اوزون حسن قابلية سياسية عارمة ، وبدا ذلك واضحاً في آواخر سنوات حكمه اذ شرع عدد كبير من القوانين استهدفت حماي الناس من جور جباة الضرائب الذين كانوا يستعملون التعسف عند استحصالهم للضرائب و الرسوم. [١٠٩] .

الخاتـمة

١- كانت الاق قوينلي مجموعة من العشائر ، نزحت من اواسط آسيا واستقرت في ديار بكر ولم تكن لها حكومة تجمعها في بداية الامر ، بل كانت اصول الادارة على وفق العرف البدوي ، تكفل لهم التماسك الاجتماعي والسياسي بالانقياد لرئيس اقوى العشائر ، وكانت السلطة ارثاً مشتركاً لجميع افراد العائلة الحاكمة ، ينفرد بها من هو أقوى .

٢- استطاعت امارة الاق قوينلي ان تتحول الى دولة في فترة حكم اوزون حسن (حسن الطويل) الذي ثبت علمياً إنه لم يكن طويلاً في قامته فحسب بل في سياسته ذات النفس الطويل مع القوى المحلية والاقليمية فقد انصرف الى مقارعة خصومه الواحد بعد الاخر ، دون ان يحارب في اكثر من جبهة ، وخلال فترة قصيرة فرض نفسه كحاكم قوي يحسب له ألف حساب في القسطنطينية والقاهرة ، على البلاد الواقعة بن اذربيجان شرقاً وآسيا الصغرى غرباً ، كما شكل مصدر قلق للسلطات المملوكية في الشام ، الذين تعاملوا معه بحذر وريبة وعدم الدخول معه في مواجهة عسكرية خاصة وان اوضاع المماليك كانت لا تشجع على ذلك .

٣- على الرغم من الاصلاحات التي قام بها حسن الطويل في المجال الاجتماعي والاقتصادي ، فان هذه الاصلاحات لم تكن ذات فائدة بسبب عدم وجود طبقة من الموظفين الذين يستوعبون ابعادها ، ناهيك عن معارضة كبار قادته لها بسبب تعارضها مع مصالحهم ، بل ان هذه الاصلاحات لم تطبق البتة بعد وفاته ،

والدليل على ذلك عدم اشارة المصادر الى اية اصلاحات تذكر قام بها خلفه ، ومن جانب آخر فان القوانين التي وضعها الطويل شكلت اساساً للقوانين العثمانية التي اشارت اليها بقوانين البادشاه حسن ، وقانون عتيق .

بسقوط دولة الخروف الابيض ، تكون الموجة الثانية للاتراك العائدة من الاناضول نحو الشرق ، الى اذربيجان ومرتفعات ايران ، قد شارفت على نهايتها ، وكانت هذه الموجة من الحجم الكبير بحيث تشكلت منها دول كانت تبشر بالنجاح ، ألا أن نجاحها لم يدم لفترة طويلة .

الهوامش والمصادر والمراجع

(١) Colond sir Jon , Malcolem , The History of Persia . London 1814 . vol . 2 p . 490 ويمكن الرجوع الى : ف ، بارتولد ، تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة احمد العيد سليمان ، (القاهرة : ١٩٥٨) ، ص ص ١١-١٩ ، لمعرفة المزيد عن القبائل التركية وطبيعة العلاقات بينهما .

(٢) للتفاصيل يمكن الرجوع الى : F . Sumer , Kara – Koyunlar (Ankara : 1967) SS . 88-482 .

(٣) بهارد خان عرب محمد : شجرة الترك ، (اسطنبول : ١٩٢٥) ، ص٢٧٠ .

(٤) H . R Roemer , The Turkmen Dynasties , in ; The Cambridge history of iran. Edited by ; peter Jackson and Laurence Lockhard . Cambridge university press 1986 . volum . 6 p . p . 147-149 .

(٥) ناقش كاتب هذه السطور بالتفصيل هذه المسألة في دراسته المنشورة تحت عنوان : الموصل في عهد سيطرة الخروف الاسود والخروف الابيض ٨١٤-٩١٤هـ / ١٤٠٠-١٥٠٨م جامعة الموصل ، موسوعة الموصل الحضارية ، الموصل ، ١٩٩٢ ، ص ص ٢٣٦-٢٧٢ . ويعتقد ان التسمية أي ، الاق قويلنو ، قد شاعت بعد وصول الاق قوينلي الى جهات الاناضول ، فعرفوا بما يملكون من حيوان الغنم الابيض ، في حين عرف غيرهم بالغنم قره قوينلي الاسود ، والعنز السوداء " قرة كيجلي " انظر كذلك عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، بغداد ١١٩٣٩ ، ج١ ، ص٢٤ .

(٦) Roemer . op . cit . p . 148

(٧) ibid . p . 153

(٨) Hinz Walther , uzun Hasan ve Seyh Cuneyd . Cevern . Tevik Biylkli oglu Ankara , 1998 . S . 23 .

(٩) Malcolm . op . cit . vol . II . P . 495

(١٠) للتفاصيل انظر : Roemer . op . cit . p. 155

(١١) عبد الله فتح الله البغدادي الغياثي و التاريخ الغياثي ، تحقيق : طارق نافع الحمداني ، مطبعة اسعد ، (بغداد ، ١٩٧٥) ، ص٣٧٢ ، مؤرخ شامي مجهول ، حوليات دمشقية (٨٣٤-٨٣٩هـ) نشر وتحقيق : حسن حبشي ، (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص١٤٥-١٤٦ .

(١٢) احمد بن لطف الله المولوي (منجم باشي) ، صحائف الاخبار ، وهو ترجمة لكتاب جامع الدول ، نقله من العربية الى التركية ، نديم افندي ، (اسطنبول ، ١٢٨٥هـ) ، ج٣ ، ص١٥٥ .

(١٣) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥٥ .

(١٤) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥٦ .

(١٥) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص١٥٦ .

(١٦) ديوركيا : لم اجد تعريفاً لهذه القلعة

(١٧) ولد تيمورلنك في بلاد ماوراء النهر ، في مدينة كيش سنة ١٣٣٦م واشاد امبراطوية على حساب الكيانات السياسية الايلخانية التي فرقتها الحروب الاهلية اتخذ سمر قند عاصمة له سنة ١٣٧٠م وقد طالت غزواته العراق والشام والاناضول وروسيا ، ومات سنة ١٤٠٥م عندما كان في طريقه الى الصين ، أنظر : عبد القادر احمد يوسف ، علاقات بين الشرق والغرب في القرنين الحادي عشر والخامس عشر ، (بيروت ، ١٩٦٨) ، ص٢٤٢ .

(١٨) صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص١٥٧ .

(١٩) ابو العباس احمد يوسف القرماني ، اخبار الدول واثار الاول ، (بغداد ، ١٢٨٢هـ) ، ص٣٣٥ ، عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، (بغداد ، ١٩٣٩) ، ج٣ ، ص٢١١ .

(٢٠) حوليات دمشقية ، ص١٤٦ .

(٢١) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٣ ، ص٣١١ .

(٢٢) للوقوف على تفاصيل هذا الصراع انظر : كامل باشا ، دولت عليه عثمانية ، (اسطنبول ، ١٣٢٨هـ) ، ج٣ ، ص١٠١ .

(٢٣أ) انظر : ف ، منورسكي : مادة : اوزون حسن ، دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الخاس ، ص٢١٤ .

(٢٣ب) صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص ص ١٥٦-١٥٨ .

(٢٤) التاريخ الغياثي ، ص٢٧٧

(٢٥) المصدر نفسه ، ص٣٧٧ .

* كماخ : مدينة في الاناضول تبعد مسيرة يوم واحد عن اذربيجان ، أنظر : ياقوت الحموي ، مجعم البلدان ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ج٤ ، ص١٣ .

(٢٦) صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص١٥٨ .

(٢٧) I . Hakki uzun carsil oglu , Anadolu Beyilkleri . AK Koyunlu ve Kara Koyunlu . Develtileri . Ankara , 1937 . s . 19

(٢٨) التاريخ الغياثي ، ص٣٧٧ .

(٢٩) صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص١٥٨ .

(٣٠)التاريخ الغياثي ، ص٣٧٨ .

(٣١) تذهب بعض المصادر الى الاشارة الى : أن بداية استقلال حسن الطويل في امد (ديار بكر) كانت سنة ١٤٥٣م / ٨٥٧هـ اذ تمكن من طرد اخيه من ماردين ، أنظر : التاريخ الغياثي ، ص٣٧٨ .

(٣٢) موش : بلدة : بلدة في ناحية خلاط بديار بكر ، أنظر : ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص٢٢٣ .

(٣٣) يحيى بن عبد اللطيف القزويني ، لب التواريخ ، طهران ، ل . ت ، ص١١٦ ، انظر كذلك : صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص١٥٤ .

(٣٤) التاريخ الغياثي ، ص٢٩٤ .

(٣٥) غياث الدين محمد بن همام خواندمير ، حبيب السير في اخبار بني البشر طهران ، ١٣٣٣هـ ، ج٤ ، ص٨٦ ، انظر تأكيد الخبر في : مير محمد بن سيد برهان الدين ميرخوند ، روضة الصفا ، طهران ، ١٣٩١هـ ، ج٦ ، ص٨٥٦ .

(٣٦) يشير ميرخوند ، الى وجود جواسيس للطويل في صفوف الجيش لقرة قوينلي كانوا ينقلون يومياً اخبار تحركاته ، روضة الصفا ، ج٦ ، ص٨٥٦ .

(٣٧) ابو بكر الطهراني ، ديار بكرية ، تحقيق : نجاتي لوغال وفاروق سومر ، انقرة ، ١٩٦٢ ، ج٢ ، ص٤١٤ .

(٣٨) التاريخ الغياثي ، ص٢٩٧ .

(٣٩) ابو بكر الطهراني ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤١٧ ، ويجاريه في الرأي نقلاً عنه ميرخواند في روضة الصفا ، ج٦ ، ص٨٥٦ .

(٤٠) يقول الغياثي في ص٢٩٨ " إنه سمع بماردين رواية مقتل جهانشاه أن احد الغلمان ضربه بالسيف فالقاه من الفرس ، وهم بحز رأسه فقال جها نشاه : لا تقتلني انا جها نشاه ، فعصب جرحه فاراد ان يركبه على الفرس و فلم يستطيع ورأى انه يموت فحز رأسه وجعله في مخلاة وركب فرسه وأخذ سيفه غير ان اتباع جهانشاه اتبعوا اثره ، واثناء مطاردته وقع رأس جها نشاه ، وهرب الغلام الى جيش الطويل .

(٤١) صحائف الاخبار ، ج٣ ، ص١٥٤ ، انظر كذلك : سامي شمس الدين ، قاموس الاعلام ، اسطنبول ، ١٣٠٨هـ ، ج٣ ، ص٨٥٦ .

(٤٢) ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : جمال الدين شيال وفيهم شلتون ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ج١٦ ، ص٥٣٨ ، القرماني ، المصدر السابق ، ص٣٣٥ .

(٤٣) حبيب السير ، ج٤ ، ص٣٨٩ .

(٤٤) لمزيد من التفاصيل انظر : ديار بكرية ، ج٢ ، ص ص ٤٣٢-٤٣٣ .

(٤٥) التاريخ الغياثي ، ص٣٨٠ .

(٤٦) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٣ ، ص٢٣٩ .

(٤٧) التاريخ الغياثي ، ص٣٨٣ .

(٤٨) كانت العلاقات المملوكية القبرصية ودية بحكم المصالح التجارية أما البنادقة فقد كانوا يدفعون الجزية للسلطان المملولكي ، للتفاصيل انظر : نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (اواخر العصور الوسطى) ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ص ٢٨-٢٩ .

(٤٩) خرتبرت : حصن يعرف أيضاً بحصن زياد في اقصى ديار بكر وبينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما نهر الفرات، أنظر : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق ، علي محمد البجاوي ،القاهرة ، ١٩٥٤ ، ج١ ، ص٤٥٧ .

(٥٠) شهاب الدين احمد بن حجر العسقلاني ،انباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ،القاهرة ، ١٩٧٢ ، ج٣ ، ص٤٢١ .

(٥١) حوليات دمشقية ، ص١٤٧ .

(٥٢) ابو المحاسن يوسف تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ،القاهرة ، ١٩٧١ ،ج١٥ ، ٤٧ .

(٥٣) اكاديش : مفردها كديش ، وهو لفظ فارسي و معناه الانسان او الحيوان الذي يكون ابوه من جنس وامه من جنس آخر ، وقد استعمله المؤرخون للدلالة على الرجل الذي لا ينتسب الى اصل واحد ،انظر عن الخبر ودلالة الوفد ،في : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١٥ ، ص ص ٤٧-٤٨ .

(٥٤) انباء الغمر بانباء العمر ، ج٣ ، ص٥٤٢ ، وقارن مع ما يذكره فيصل الشلي في : بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية ، ١٣١٨-١٥١٧م ،ط١ ، دار الزمان ، (دمشق ، ٢٠٠٨م) ، ص٢٣٥ .

(٥٥) القرماني ، المصدر السابق ، ص٣٣٥ ، انظر كذلك : سامي شمس الدين ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص١٤٦ .

(٥٦) ابو المحاسن ، يوسف بن تغري بردي ، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور ، تحقيق : وليم بوير ، كليفورينا ، لا . ت ، ص٣٠٢ .

(٥٧) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج١٦ ،ص١٠٨ .

(٥٨) حوادث الدهور ،ج٣ ، ص٣٢١ .

(٥٩) النجوم الزاهرة ، ج١٦،ص٢٨٨ .

(٦٠) انظر عن مساعي القرة قوينلي في كسب ود المماليك : الحافظ محمد عبد الرحمن السخاوي ، التبر المسبوك في ذيل السلوك ، (القاهرة ، ١٨٩٦م ، ص٣٤٥ .

(٦١) حوادث الدهور ، ج٣ ، ص٦٩٤ .

(٦٢) تاريخ العراق بين احتلاليين ، ج٣ ، ص٣٢٤ .

(٦٣أ) Faruk Sumar , islam Pediseil Anisklo Cilt . 6 , AK koyunlar

وقارن مع ما يذكره مينورسكي في دائرة المعارف الاسلامية مج٥ مادة : اوزون حسن .

كان العثمانيون ، ينظرون الى المماليك نظرة دونية ، فهم مجرد عبيد شركيس ، لا ينحدرون مثلهم من اوغزخان ، في حين ان السلطان فاتح يعد نفسه الخلف الشرعي لبني سلجوق لبني سلجوق ، وبنو سلجوق هم اسياد " الاتابكة الزنكيين " الايوبيية الذي هم اسياد المماليك ، للتفاصيل انظر : يلماز اوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية و ترجمة عدنان محمود سلمان ، استانبول ، ١٩٨٨ ، المجلد الاول،ص١٥٧ .

(٦٣ب) أنظر: محمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا : العراك بين المماليك والعثمانيين الاتراك، مع رحلة الامير يشبك بن مهدي الدوادار،صنعة محمد احمد الدهمان، ط١ ، دار الفكر، (دمشق ، ١٩٨٦) ، ص١٦٨ .

(٦٤) تاريخ العراق بين احتلالين،ج٣،ص٢٦٤.

(٦٥) يستطرد محمد بن احمد بن اياس في الكلام عن هذه الحادثة ويقول متعجبا : " كانت هذه الكسرة على عسكر مصر من الوقائع الغريبة ، وكانت مصيبة عظيمة ... " انظر : بدائع الزهور قي وقائع الدهور ، القاهرة ، لا. ت ، ج٣،ص٢٦٤ . انظر كذلك : فيصل الشلي،المصدر السابق ،ص٢٣٦ .

(٦٦) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج٣ ، ص٢٦٥ .

(٦٧) انظر : عماد الجواهري،المصدر السابق ، ص١٥٤ .

(٦٨) انظر : مينورسكي ، مادة اوزون حسن ، دائرة المعارف الاسلامية ، مج٥ ، ص٢١٤ .

(٦٩) القرماني ، المصدر السابق،ص٣٣٦ .

(٧٠) نغيم زكي فهمي ، المصدر السابق ، ص١٥٨ .

(٧١) للوقوف على تفاصيل اكثر انظر : Caterno Zino , Travel in Persia in 16 th and 17 th Centuries . London . 1873 . pp . 3-6 .

(٧٢) في الواقع كان الطويل في هذه السنة يحكم قبضته على المنطقة الواقعة بين افغانستان وقرة مان ، وبين قفقاسيا وسوريا ، وكذلك ايران والعراق وقفقاسيا الجنوبية والاناضول الشرقية تحت حكمه ، للتفاصيل انظر : يلماز اوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة ، عدنان محمود سلمان ، مراجعة وتنقيح ، محمود الانصاري ، استانبول ، ١٩٨٨ ، المجلد الاول ، ص١٦٠ وما بعدها .

(٧٣) يعتزم الباحث تناول هذا الموضوع في دراسة لاحقة .

(٧٤) انظر للباحث : رسائل الحرب والسلام بين السلاطين والامراء في تركيا وايران والعراق ومصر والشام ، بحث قيد الانجاز .

(٧٥) انظر : Hinz . AGE . SS . 30-31 ولتفاصيل اكثر انظر : ضياء محمد جميل عباس علي ، الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح (١٤٥١-١٤٨١م) ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٢م ، ص١٩٥ .

(٧٦) مآب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء وينسب اليها صناعة الخمر ، انظر : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣١ . ويشير هاممه ر،ان الطويل دأب في رسائله التأكيد ان محمد الفاتح ليس إلا بك من البكوات اشارة الى كونه دون مستواه في الحكم ،في حين الفاتح كان يعد الطويل خان عادي من خانات العجم ، انظر نص الرسالة في : فون هاممه ر ، دولت عثمانية تاريخي ، اوجيخى جلد ، مترجمي محمد عطا ، استانبول ، ١٣٣٠هـ ، ص١٢٢ وما بعدها .

(٧٧) للوقوف على تفاصيل اكثر : انظر : علي شاكر علي ، الاوضاع السياسيو في العراق والاناضول في القرن الخامس عشر للميلاد ، بحث مقدم الى قسم التاريخ ،كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٩٨٦،ص١٠ وما بعدها .

(٧٨) الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح ، ص ص ١٩٩-٢٠٠م .

(٧٩) يشير منجم باشي ، ان الطويل تعمد خوض المعركة الفاصلة مع غريمه يوم الاربعاء ، اذ كان يعده يوم سعده ، فقد انتصر على جها نشاه حاكم القرة قوينلي وابو سعيد التيموري في الاربعاء ايضا، المصدر السابق ، ج٣ ، ص٣٩٢ . قارن مع ما يذكره محمد سهيل طقوش في مؤلفه تاريخ العثمانيين من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، ط٢ ، بيروت ، ٢٠٠٨ ، ١٢٦ حيث يجعل يوم المعركة في ١٧ ربيع الاول / ١٢ آب / ١٤٧٣م ، وللتفاصيل عن هذه المعركة ، انظر : يلماز اوزتونا،المصدر السابق ، ج١ ، ص ص١٦٤-١٦٦ . Selahattin Tansel . Osmanli Kaynaklarna gore Fatih Sultan Mehmedi Siyasi ve askeri Faaliyeti . 3 Baski , Ankara 1999 . ss . 315-420 .

(٨٠) الدولة العثمانية في عهد السلطان محمد الثاني الفاتح .... ص٢٠١ ، يقول المؤرخ التركي تانسل Tansel أن اكثر من ١٧٠ قائداً وخمسة آلاف جندي من جيش الاق قوينلي وقعوا اسرى بيد الفاتح ،وقد امر الفاتح بمعاملتهم معاملة حسنة ، ثم اطلق سراحهم ، ولم يتعقب الفاتح الطويل الفار من ساحة القتال ربما لانه كان غير مصمم لاسقاط دولته ، انظر : . A. TANSEL . D . G . E . S . 323، ويروي مؤرخ تركي آخر، ان السلطان محمد الفاتح ، لم يتعقب شقيقه في الدم " اشارة الى انتمائه الى العرق التركي ، ولم يكن يريد سفك مزيد من دماء المسلمين بل كان هدفه هو تلقين اوزون حسن درساً وليس تفكيك دولته وتعميق جراح رعاياه ، أنظر : mehmed maksud oglu osmanli Tarihi 1299-1922 . 2 Baski istanbul 2 ool . S . 113

انظر كذلك : اكمل الدين احسان اوغلي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، نقله الى العربية ،صالح سعداوي ،استانبول ،١٩٩٩ ، المجلد الاول ، ص٢٧ .

(٨١) انظر : خيل اينالجيك ، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء الى الانحدار ، ترجمة : محمد . م . الارناوؤط ، دار المدار الاسلامي ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ط١ ، ص٤٧ وما بعدها ، وقارن ما يذكره Roemer . op . cit . p . 179 حيث يعزوا سبب الانتصار الى استخدام العثمانيين البارود والاسلحة النارية فضلاً عن الخطط العسكرية الناجحة لمحمد الفاتح .

(٨٢) عن هذه السفارة انظر : حبيب السير و ج٤ ، ص٤٢٢ ، وعن قصر " هشت بهشت " انظر الوصف الدقيق له في : عماد الجواهري و الاق قوينلي نموذج من العلاقات السياسية في الشرق الادنى في آواخر القرن الخامس عشر ، مجلة و دراسات عربية ، بيروت ، العدوان ١-٢ ، ١٩٨٢،ص١٤٤ .

(٨٣) احمد عبد الرحيم مصطفى ، اصول التاريخ العثماني ، دار الشرق،بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٧٦ .

(٨٤) للتفاصيل انظر : عماد احمد الجواهري ، حيازة الاراضي والتطورات السياسية في المشرق العربي ، مجلة المستقبل العربي ، (بيروت) ،العدد ٤٨ لسنة ١٩٨٣ ، ص ص ١٠٩-١١٠ .

(٨٥) خليل علي مراد ، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني ١٠٤٨-١١٦٤هـ / ١٦٣٨-١٧٥٠،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، كلية الآداب،جامعة بغداد ،١٩٧٥ ، ص ص ٢٨٧-٢٨٨ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ص٢٨٨ .

(٨٧) أ. و. اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الاوسط في العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الهادي عبلة ، مراجعة : احمد سبانو ، دمشق ،دار قبية ،١٩٨٥ ، ص٣٥٢ وللمقارنة انظر : نوري عبد الحميد العاني ، العراق في القرن الخامس عشر ، بغداد ، ٢٠٠٢م ، ص ص٩٥-٩٧ .

(٨٨) المصدر نفسه ، ص٣٥٢ .

(٨٩) V , minorsky , The AQ – Quyunlu and Land Reform (Turkmenlca , II) in Bulletin of School of oriental and African Studies vol . 17 , NO . 3 , 1955 P . P . 450 – 451 .

(٩٠) أشتور ، المصدر السابق ، ص٣٥٣ ، وكان يعقوب قد منح سويرغالات كثيرة للسادة والقضاة والعلماء ، كما يثبت اصحاب السويرغالات على اراضيهم كما كان في عهد والده اوزون حسن ، انظر : MINORSKY . OP .CIT . P . 451

(٩١) اشتور ، المصدر السابق ، ص٣٥٣ .

عندما كانت المنازعات والاصطدامات على اشدها بين احفاد حسن الطويل باي سنقر (ابن يعقوب ، وبين رستم ، ابن مقصود ،ظهر ابن عمهم احمد على مسرح الاحداث وهو ابن اكبر ابناء اوزون حسن ،اوغرلو محمد،وفي (٨٧٩هـ /١٤٧٤- ٥) ولمواجهته بعض الاخفاقات هرب هذا الاخير الى بغداد ومنها الى الدولة العثمانية حيث رحب به السلطان مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١م) بحرارة وزوجه احدى بناته وقد انجبت له ولد سماه احمد بيك وفي ١٤٧٧م / ٨٨٢ توفى اوغرلو محمد ، عندما كان يحاول على ما يبدو العمل من اجل استرداد مملكة ابيه وبدعم من السلطان بايزيد الثاني (٨٨٠-٩١٨هـ / ١٤٨١-١٥٢٠م) نودي بأحمد بيك حاكماً على الاق قوينلي رمضان ٩٠٣هـ / ٣ ايار ١٤٩٧م غير ان حكمه لم يستمر طويلا بسبب انقلاب احد اقربائه عليه اسمه اوبا سلطان حاكم ايالة كرمان و بمساندة قاسم بيك بورناك الذي عارض السياسية المالية ل (احمد بيك) ودعوته للعودة الى تطبيق الشريعة الاسلامية م للتفاصيل انظر : . 9- 458 . cit . op . Minorsky

(٩٢) Lbid . p . 490 .

(٩٣أ) اقدم احد امراء الاق قوينلي سنة ٨٩٦هـ،على بيع ارض واسعة والمنشأت القائمة عليها في اطراف الموصل واربيل الى النصارى ، والتي سجلت كأوقاف لصالح سكان تلك المنطقة و انظر : القس بطرس نصري الكلداني ، كتاب ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، الموصل ١٩١٣ ، المجلد الثاني ، ص٨٠ وما بعدها .

(٩٣ب) انظر : علي شاكر علي ، الموصل في عهد سيطرة دولتي الخروف الاسود والخروف الابيض، ص ص٢٦٩-٢٧١ .

(٩٣ج) minorsky . op . cit . 449 .

(٩٣د) نوري عبد الحميد العاني ، العراق في القرن الخامس عشر،بغداد ،٢٠٠٢م ،ص١٦٢ .

(٩٣هـ) عماد احمد الجواهري ، ملاحظات عن الاقطاع وحيازة الاراضي في كردستان في العصور لاسلامية المتأخرة ، مجلة كاروان / العدد / ٣٤ لسنة ١٩٨٥ ، ص١٤٢ .

(٩٣ و) الموصل في عهد الدولتي الخروف الاسود والخروف الابيض ص ٢٦٩

(٩٤) تاريخ العراق بين احتلالين،ج٣ ، ص٢٣٧ .

(٩٥) القرماني ، المصدر السابق ، ص٣٣٧ .

(٩٦) التاريخ الغياثي ،ص ص٣٩١-٣٩٢ .

(٩٧) المصدر نفسه .

(٩٨) كانت هزيمة الطويل امام غريمه محمد الفاتح فضلاً عن ثورة ابنه اوغرلو محمد سنة ١٤٨٥م الذي التجأ الى العثمانيين ، ثم ثورة ابن اخيه أويس ، والطاعون الذي فتك بسكان بلاده ، كلها جعلت من موته ربما كمداً في الاول من شوال ٨٨٢هـ / ٥ كانون الثاني ١٤٧٨م عن عمر يناهز ٥٣ عاماً ، أنظر : . 181 . p . cit . op , Roemer

(٩٩) سيعالج الباحث هذا الموضوع في الدراسة اللاحقة.

(١٠٠)حسين محمد القهواتي ، تاريخ العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ١٥٣٤-١٦٣٨ ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،كلية الآداب،جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص٣٩ ، وما بعدها .

(١٠١)عماد الجواهري ، صراع القوى السياسية في المشرق العربي " من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني " ، الموصل،١٩٩٠ ، ص ص٥٤-٥٨ .

(١٠٢). Roemer , op . cit . p . 188

(١٠٣)احمد اتش : آق قوينلي AKKOYUNLU في : فؤاد افرام البستاني ، دائرة المعارف ، قاموس عام لكل زمن ومطلب ، بيروت ، ١٩٥٦ ، مجلد ١ ، ص٢٨٥.

(١٠٤) Ismsil Hakki Uzu Carsili , Osmanli devleti teskilaina medhal . istsnbul , 1941 , SS . 290-91

(١٠٥)بـ A . g . e .

(١٠٦) A . E , SS . 349-302

(١٠٧) A . E , SS . 304-306

(١٠٨)للتفاصيل انظر : علي شاكر علي،الموصل تحت سيطرة الخروف الاسود والخروف الابيض، ص ص ٢٦٣-٢٧٢ .

(١٠٩). Roemer , op . cit . p . 181

(١١٠) Ibid . p . 188

ملحق رقم -١-

حكام الآق قوينلي في ديار بكر واذربيجان والعراق وإيران

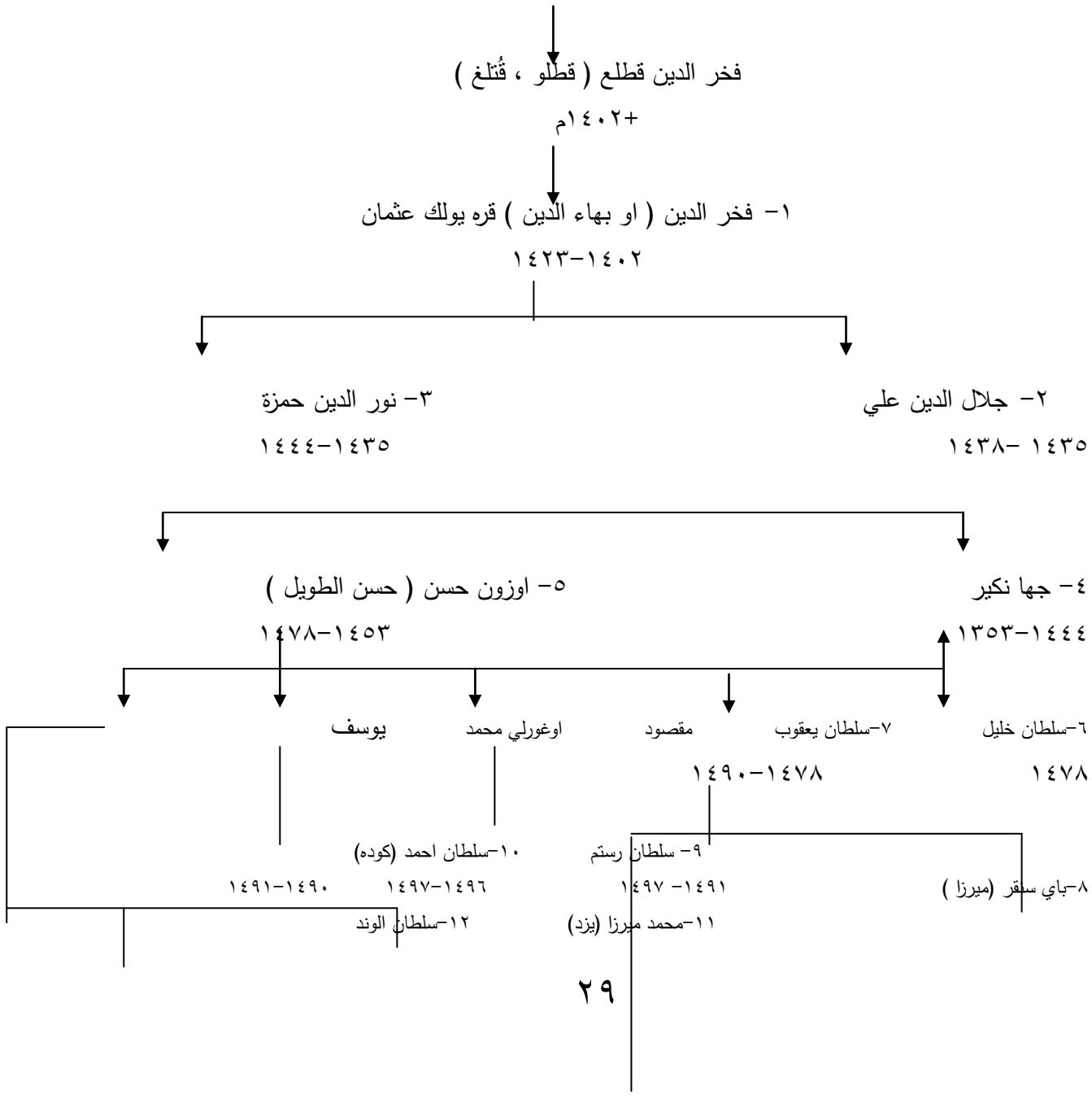

١٥٠٠-١٤٩٧ ١٥٠٤ - ١٤٩٧

١٣-سلطان مراد (شروان)
١٥٠٨-١٤٩٧

المصدر : احمد آتش ، المصدر السابق ص٢٨٤

ملحق رقم – ٢ –

بلاط السلطان يعقوب بك بن اوزون حسن (هشت بهشت) الجنان الثمانية في تبريز :

بدأ السلطان يعقوب في بناء بلاطه المعروف " الجنان الثمانية " عام ٨٨٨هـ / ١٤٨٣م على غرار قصور الحكام المعاصرين له من آل عثمان والمماليك ، غير أنه لم يتمتع زماناً طويلاً ببلاطه كما يقول الدكتور عماد احمد الجواهري فقد ذهب شأنه شأن العديد من امراء ذلك الزمان وسلاطينه ضحية المؤامرات التي كانت تحاك في بلاط السلطان نفسه (سنة ٨٩٦هـ / ١٤٩١م) في ادناه وصف لهذا البلاط كما ورد في كتاب الرحالة البنادقة المعنون : The Travels of a merchant in Persia . p . 173-174 . نقلاً عن بحث د . عماد احمد الجواهري :

" العمارة قائمة في وسط مجموعة من الحدائق ، وهي مسورة وتقع في الجانب المقابل للعاصمة (تبريز) ويبلغ ارتفاعها (٣٠) ذراعاً ومحيطها يتراوح بين (٧٠) و (٨٠) ذراعاً،والعمارة مقسمة الى ثمانية اقسام كل قسم منها يضم اربع غرف واربعة دواوين ، وفي كل غرفة قلعة باتجاه المدخل .

ويقع مكان الاستراحة في البلاط تحت قبة دائرية يمكن من فوقها رؤية السهول المحيطة بالعمارة ، ويلاحظ أيضاً ان البهو او مركز البلاط يسيطر على مداخل الغرف والقاعات لانه يؤدي اليها جميعاً ،وللعمارة اربعة مداخل رئيسة تؤدي الى داخلها كما تؤدي أيضاً الى اسوارها .

أما الأبنية الملحقة زيادة بها فهي جامع ومستشفى واصطبلات للحيوانات . والبناء جميل جداً ، فهو بالاضافة الى موقعه في وسط الجنائن يقوم على قاعدة تظهر جوانبه على شكل مصطبة دائرية ارتفاعها ياردة ونصف وعرضها خمسة ياردات (كذا) ،وفي كل مدخل من المداخل المذكورة يوجد ممر يؤدي الى المصطبة وتوجد ايضاً مصطبات صغيرة معلقة ،ويلاحظ أيضاً وجود قنوات يجري فيها الماء بعمق اربعة اصابع ، وهي منحوتة على المصطبة الدائرية ، وهذه القنوات تلتف حول المصطبة بما يشبه التفاف الافاعي،وفي القصر أيضاً برك كثيرة ، وفي وسط القصر قاعة كبيرة مزينة بالذهب والفضة ، واللون العام للقصر اللون الازرق ، وزينت جدران القاعات بالرسوم التي تصور بعض المعارك وحملات الصيد واستقبال السفارات وصور الحيوانات .. "

المصدر : عماد احمد الجواهري ، نموذج من العلاقات السياسية في الشرق الادنى في آواخر القرن الخامس عشر ، مجلة دراسات عربية (بيروت) . العددان ٢-١ ، ت٢ ، ك١،١٩٨٢ ، ص ص ١٥١-١٥٢ .

Historical Roots of Political Identities in the Modern Far East:
AQ Quoynly State

Prof. Ali Shakir Ali _ Dept. of History - College of Education/ Kirkuk University

Abstract

The paper examines the historical roots of one of the political identities (AQ Quoynly State) which ruled the Southern part of Anadolia and Northern West of Iran and Iraq for a considerable period of time. This State attempted during the eras they ruled establishing new financial and administrative systems benefiting from their own ruling experience besides the cultural heritage of the region. As a result of long political conflicts among the political groups, the most prominent rules of AQ Quoynly took over power and set down a constitution for the State which later became the base of most of the Ottoman rules in the 15th century A.D. The paper also tackles the sever conflict between the two states: Al-Kharuf Al-Abyad and Al-Kharuf Al-Aswad, and studies Al-Mamalik states' stand towards them. Moreover, the paper does not neglect studying the political, military and economic organizations of AQ Quoynly and the local powers' attitudes from the political ruling of AQ Quoynly during their ruling era.